مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الرابع عشر-العدد الثاني، ص:١٩-٥٩ ، يونيو ٢٠٠٦

الانكسار في شعر المتنبي - مقاربة نصية-

د. أمل طاهر محمد نصير
كلية الآداب - جامعة اليرموك
عمان - الأردن

ملخّص: تناولت في هذا البحث الانكسار في شعر أبي الطيب المتنبي، وذلك من خلال الموقف المكاني الذي تمثّل بالطلل والسجن، والموقف الإنساني الذي تمثّل في الإنسان الموافق له مثل سيف الدولة، والإنسان الخصم من عدو أو حاسد، وأخيرا الموقف الزماني الذي تمثّل بالدهر، والشيب، والليل، والموت.

لقد بدا المتنبي من خلال هذه الدراسة ضعيفاً منكسراً في كثير من مواقف الحياة إلا أنّه لم يقف مستسلماً، بل جابه وتحدى، موضحاً أن قيمة الحياة في أن يعيشها الإنسان بعز وكرامة مهما كلّفه ذلك من تعب ومشقة وتضحيات، وإلا فالموت خير منها.

اتكأ المتنبي على وسائل بلاغية كثيرة ساهمت في تحقيق مراده في إيصال تجربته الإنسانية، وإبراز تجربته الإبداعية من تشخيص وتكرار وتصغير واستفهام ونداء ونهي ونفي وتضاد، وقد ساهمت جميعها في إبراز صفة الرفض لكل الظروف السلبية والعيوب الاجتماعية السائدة في عصره، وقد عكست حالة التضاد والتناقض والتنافر بينه وبين الآخرين، أو بين الناس أنفسهم في مجتمعه.

Vulnerability in Al Mutanabi's poetry

Abstract: In this paper I have attempted to analyse vulnerability in the poetry of Abu Taib Al Mutanabi. I have studied signs of weakness in different aspects of the poet's life. The poet portrays helplessness through place represented by imprisonment and longing, and time such as representations of night and death. Al-Mutanabi also uses the humanistic level represented by his relationship with Saif al-Dawla especially in its final stages. Weakness is also represented through the foe figure and the various enemies of the time.This study reveals that Al Mutanabi was defenseless and helpless on many occasions during his life time. The poet, however, did not submit as he faced and defied in order to [1]emphasise that the value of life is to live it with dignity.

المتنبي أحد أشهر شعراء العربية؛ كان وما زال شخصية جدلية اختلف النقاد والدارسون حولها؛ فمنهم من رآه إنساناً عظيماً، وشاعراً مفلِقاً، وحكيماً بليغاً، ومنهم من رآه متطرفاً، ومتهوراً، ومغروراً. ُألفت حول شخصيته وشعره دراسات كثيرة، وما زال يستوعب دراسات أخرى كثيرة.

على الرغم من مظاهر القوة التي برزت في شخصية المتنبي ووصلت إلى درجة العنف في بعض الأحيان إلا أنّه بدا في أحيان أخرى ضعيفاً ومنكسراً. سوف أقوم في هذا البحث بتتبع مواطن هذا الانكسار عنده، وذلك من خلال عرضي لمظاهره وأسبابه المختلفة، وموقف الشاعر منه من خلال محاور ثلاثة هي: المكان والإنسان والزمان، وسأتناول هذه المحاور من خلال شعر الشاعر نفسه دون الخوض في الموضوعات التي أكثر النقاد الدارسون من بحثها تلافيا للتكرار، وسأكتفي بالإحالة إلى المصادر والمراجع التي عالجتها.

أولاً- المكان

ثمة مواقف مكانية كثيرة في حياة المتنبي تبدى فيها ضعفه وانكساره من أهمها:الموقف الطللي والسجن، وربما كان وقوفه على الطلل من أكثر المواقف دلالة على هشاشة قلبه، وطبيعة إحساسه العميق بالزمان والمكان الطلل، فقد وقف الشعراء العرب من قبله على الأطلال، ونادوا أحبتهم، وشكوا خلو المكان منهم، وغيبتهم عنه، وبكى بعضهم بكاء غزيراً على فقدهم، وكان لهذا الموقف تفسيرات مختلفة،(١) لعلّ من أهمها أن الوقوف على الطلل، ومحاورته، وذرف الدموع عليه إنما هو تعبير عن تطامن الإنسان وانكساره أمام الزمن حيث الطلل أحد تحولاته المهمة، فالزمان هو المسؤول عن فراق الأحبة، ولما كان الإنسان غير قادر على فعل شيء يمنع الدهر من تسلّطه وجبروته، وسلبه أحبابه لم يبقَ له سوى الوقوف على أطلالهم وفاء لذكراهم، وتذكّراً لأيامه الخوالي معهم، مخرجاً ما يعتمل في نفسه من هم وشجن، يبكيهم ويبكي نفسه من خلال بكاء أطلالهم، وقد أخذ هذا البكاء شكل الطقوس الجماعية، وأصبح العقل العربي مشغولاً بمشكلة الموت الذي يتجسد في الطلل الذي كان بالأمس داراً عامرة بالبشر والصناع.(٢)

سار المتنبي في هذا على طريق أجداده، فوقف على الطلل معبراً عن حالة الموت هذه، فتذكّر صاحبته التي رحلت عن المكان، وتركته لعوامل الطبيعة تتلاعب فيه. قال واصفاً حزنه العظيم على فراق سكان الطلل :

أيدري الربع أي دمٍ أراقا ... وأي قُلوبِ هذا الركْبِ شاقا
لنَا ولأهلِهِ أبداً قُلوب ... تَلاقى في جسومٍ ما تَلاَقى
وما عفَتِ الرياح لَه محلا ... عفاه من حدا بِهم وساقا

فَلَيتَ هوى الأحِبةِ كان عـ ـدلاً   فَحملَ كُل قَلْبٍ ما أطاقـ ـ ـ ـ ـ ـا
نَظَرتُ إلَيهم والعين شَـ ـكْرى   فَصارتْ كُلـ ـها لِلدمعِ ماقـ ـ ـ ـا(٣)

إن المتنبي يقف وقوف العاشق على أطلال محبوبته، يذرف دموعاً غزيرة على فراقها، وعدم مقدرته على التنعم برؤيتها، ويحاول بعث الحياة في المكان الذي كانت تسكنه من خلال تشخيصه، أو من خلال مساءلته عما أحدثه من تأثير على الشاعر، أو غير ذلك من الأساليب التي تحقق للشاعر قدراً من الراحة ببثّه الحياة في المكان الخاوي، حيث يسبب هذا الخواء في المكان خواء مساوياً له في النفس البشرية؛ مما يثير في نفس الشاعر مشاعر مختلطة قد يختصرها البكاء الغزير الذي يذرف من خلاله الدم بدل الدموع، ولعل هذا المشهد المتكرر يدعونا للتساؤل هل كان الشاعر يبكي صاحبته التي أخلت المكان ورحلت عنه رحيلاً دائماً أو مؤقتاً، أم أنه يبكي أمراً أكبر من ذلك؟! لعلّه يبكي على أحبته الذين ألزمهم الموت ترك المكان، وبالتالي يبكي نفسه التي ستؤول إلى ما آل إليه غيرها حيث انكسار الإنسان أمام جبروت الموت وقسوته، ولعلّ تحميل مسؤولية الفراق للحادي يشير إلى شيء من هذا، إذ ما المقصود بالحادي هنا؟ هل هو الراحلة التي حمل عليها الراحلون، أو من يقود هذه الراحلة ؟ وهل أحدهما فعلاً هو المسؤول عن الفراق، ونحن نعلم أن أياً منهما ما هو سوى وسيلة للرحلة، أو معاون للراحلين، وأن هناك من هو أقوى منهما وهو من يملك قرار الرحيل؟

لا أدري كيف يمكن للمتنبي أن يكون قادراً على الجمع بين شخصيتين متناقضتين؟ فهو رقيق في الحب، وديع مع من يحب، يقدم كل ما لديه من حب وعواطف جياشة، ودموع يسحها سحاً بسهولة ويسر متجاهلاً شخصيته الثانية الشديدة الصعبة المراس، التي تحمل في أعماقها قدراً كبيراً من الفخر بالشجاعة والإقدام، والاقبال على الموت، ربما لأن الطلل وتذكّر المحبوبة كانا لديه الوسيلة التي يستطيع من خلالهما إفراغ ما في نفسه من قهر الزمان، وقلة الصديق، وكثرة الحساد، وما يعانيه من الاغتراب العميق.

لقد جعل الشاعر للربع من خلال الصورة الفنية في البيت الأول قوة المقاتل الشديد الذي يسفح دم الشاعر ومن هم معه دونما هوادة أو رحمة، وجسد الهوى وجعله غير منصف؛ لأنّه حمله ما لا يطيق من العشق والوجد والصبابة دون أن يلهمه الصبر على فراق أحبته، فجاء البكاء على الطلل وسيلة لإفراغ ما في نفسه من شجن وهموم، ودمع محتبس ربما لا يقدر على إفراغه بغير هذه الوسيلة التي ارتضاها كثير من الرجال لأنفسهم، وكأنهم بعشقهم، وولوعهم بصاحباتهم يعبرون عن صولة وقوة لا تقلّ عما يفتخرون به من قوة وشجاعة في ساحة المعركة، فكان الأمر كما في قوله:

تذَلّلْ لها واخضع على القُربِ والنوى   فَما عاشِقٌ من لا يذِل ويخْضع(٤)

وقال يصف تأثير فراق أحبته عليه:

صِلَةُ الهجرِ لي وهجر الْوِصــال   نَكَساِني في السقْمِ نُكْس الهــلال
فَغَدا الجِسم ناقِصاً والذي ينْــقُص   مِنْه يزِيد في بلبالــــي
قِفْ على الدمنَتَين بالدو من ريــّا   كخالِ في وجنَةٍ جنْد خَــــال
بِطُلُولِ كأنــهن نجــــــــوم   في عِراصِ كأنهن ليالــــي
ونؤي كأنهن عليهــــــــن   خِدام خُرس بسوق خـــــدال
لا تَلُمِني فإنِي أعشَقُ الْعشــــاقِ   فِيهــا يا أعذَلَ العــــذال(٥)

لقد أضناه غياب أحبته عن المكان بحيث نحل جسده هماً وحزناً، فتضاءل كتضاؤل الهلال؛ لذا هو يسارع إلى الوقوف بأطلالهم عله يسلّي نفسه بما تبقى من آثارهم التي هي كخالين في الخد موضحاً حجم الإنسان في هذه الحياة، فهو وآثاره ضئيل كضآلة هذه الأطلال في الأرض الواسعة، أو هي كالنجوم في الليالي المظلمة، ولعله من خلال هذا التشبيه يشير إلى أن حياة الإنسان الفانية بالموت لا يبقى منها سوى ذكرياته الجميلة تضيء حياته المدلهمة بسواد الموت وظلمته، وهذا مفيد في الإجابة على السؤال المطروح سابقاً: لماذا المرأة هي دائماً سيدة الموقف في الطلل حيث بثّها المتنبي أعظم مشاعر العشق مع أن المتنبي لم يبدِ اهتماما كبيرا بها أو بشعر الغزل خارج موضوعة الطلل؟(٦) ولعل هذا كلّه يؤكد رمزية امرأة الطلل إلى الحياة ذاتها، فهو يبكي الحياة من خلال بكائه المرأة، ويتمسك بالحياة من خلال تمسكه بها، ويبكي الموت السالب لسعادة الإنسان ومكتسباته من خلال سلبه المرأة الحبيبة التي توفّر له الهناء والسعادة، ومن ثم الخلود من خلال استمرار النسل.

لقد جمع الشاعر بين الوقوف على الطلل، وتذكّر الحبيبة بين عنصرين متضادين أحدهما يذكّر بالفناء وهو الطلل، والآخر يذكّر بالحياة وهو الحب. (٧) إنها لحظات تتعانق فيها الحياة والموت بصورة مثيرة للتأمل. إن هذه المعاني المهمة في حياة الإنسان جعلته يذرف الدمع العزيز، وقد يتحول دمعه المهراق على طلل المحبوبة إلى دم يراق إذ مزج الشاعر بين قوة الزمن وبين الزمن الذي هو جريان للوقت، فكلاهما بدا أثره واضحاً في المكان الطلل.(٨)

في هذا السياق لم يرض الشاعر أن يكون وقوفه على الطلل مجرد وقوف من يشتكي من فعل الزمن فيه، ومن ثم يتجاوزه، ولكنه أراده وقوفاً مقصوداً وعميقاً، وشبهه بمثل إنسان شحيح فقد خاتمه، فكما يبحث هذا الأخير عن خاتمه بلهفة وحرص عميقين، فإن وقوف الشاعر في أطلال صاحبته كان كذلك، فقد كان مثل من فقد شيئاً عزيزاً على قلبه، ولما كانت آثارها

غائرةً في المكان لا يستطيع ملاحظتها بسهولة ويسر؛ فهو يبحث عنها، ويتتبعها باهتمام وعمق، وكأنّه يبحث عن شيء أثير ومهم في حياته سلبه إياه الزمان، وفعل فيه الخراب الكبير، فكان من الصعب عليه استعادته وربما كانت هذه من الصور التي تفرد بها المتنبي حيث يقول:

بليتُ بِلى الأطلال إن لم أقف بهـ ـا   وقوفَ شحيح ضاع في التربِ خاتَمه
كئيباً توقّاني العواذل في الـ ـ ـهوى   كما يتوقّى ريض الخيل حازمـ ـه(٩)

لا أدري ما الذي يبحث عنه الشاعر في الديار بكل هذا الاهتمام، هل هو عمره الذي يفنى أمامه شيئاً فشيئاً دون أن يحقق مراده من المجد، والمكانة الاجتماعية التي افتقدها بغمز نسبه أو وضاعته(١٠) مقارنة مع ما يمتلك من صفات أخرى كالشجاعة والحكمة والشعر والثقافة؟ أم أن هناك شيئاً آخر لم يفصح المتنبي عنه لعله الاستقرار، والحياة الهانئة المتمثلان في قوله:

ذِكَر الصبا ومرابـِ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـع   الآرامِ جلَبتْ حِمامي قَبلَ وقْتِ حِمامي
دِمن تَكاثَرتِ الهموم علـ ـ ـ ـ ـي في   عرصاتِها كَتَكاثُرِ اللـ ـ ـ ـ ـوامِ
فَكأن كُل سحابةٍ وكَفَتْ بِهـ ـ ـ ـ ـ ـا   تَبكي بِعينَي عروةَ بن حِـ ـ ـزام
ولطالَما أفْنَيتُ ريقَ كَعابـِ ـ ـ ـ ـ ـها   فِيها وأفْنَتْ بِالعِتابِ كَلامـ ـ ـ ـي
قَد كُنْتَ تَهزأُ بالفِراقِ مجانَـ ـ ـ ـ ـةً   وتجر ذَيلي شِرةٍ وعـ ـ ـ ـ ـرامِ
لَيس القباب على الركابِ وإنمـ ـا   هن الحياةُ تَرحلَتْ بِسـ ـ ـ ـ ـلامِ
لَيتَ الذي خلقَ النوى جعل الحصى   لِخِفافِهن مفاصِلي وعِظامِـ ـ ـ ـي
متلاحِظِين نَسح ماء شُؤونِنـ ـ ـ ـا   حذَراً مِن الرقَباءِ في الآكـ ـ ـامِ
أرواحنْا انهملَتْ وعشنا بعدهـ ـ ـا   مِن بعدِ ما قَطَرتْ على الأقْدامِ(١١)

لم يكتفِ الشاعر ببكائه على الأطلال، ولكنّه عكس ظلال نفسه الحزينة المتحسرة على حالها على كل ما حوله، فبدت مياه المطر دمعا مسفوحا على حال الإنسان المفجع بغياب أحبابه، ورحيلهم عن المكان، وتركه عرضة للخراب والدمار، وقد رحلوا معه شبابه وأيامه الخوالي، فكان مثقلاً بالهموم التي جعلته يحاور نفسه كيف كان بالماضي لا يعبأ بالموت، وبكل ما يمكن أن يجلبه عليه الفراق؛ لأنّه كان منشغلاً بشبابه القوي، وما يصاحب مرحلة الشباب من لهو، وعدم اكتراث، وغفلة عن الموت. ولعل قوله:(هن الحياة ترحلت بسلام) يشي بكثير من مكنونات النفس المرهقة بالتفكير بالموت، ورحيل العمر المتمثل برحيل المرأة؛ خاصة إذا وضعنا في اعتبارنا تكرير الشعراء لفكرة أن المرأة تشيح بوجهها عن الرجل إذا ما كبر في السن، إنه إزاء هذه المعاناة لم يبقَ له إلا تمني الهلاك تحت أخفاف الإبل لعلّه يتخلّص من حالة اليأس والعجز التي يعاني منها إزاء عدم قدرته على مواجهة الموت الذي انتشر حوله في أرجاء المكان، وما

الدموع التي كان يذرفها هو ومن معه سوى أرواحهم التي جرت على أرجلهم، فهي دموع ثمينة كما هي حياتهم، ولا بد لها أن تنزف في أمر غالٍ وخطير.

من الملاحظ أن الأفعال التي استخدمها المتنبي في وصف الأطلال كانت بصيغة الماضي (تكاثرت، ترحلت، أفنيت، أفنت...) مع أن لحظة الإحساس بالطلل هي اللحظة الحاضرة؛ ذلك أن ملاحظة التغير الذي أصاب الطلل كانت في الحاضر حيث فوجئ الشاعر بالتغير الهائل الذي برز أمامه في المكان.

لقد كان وقوف الشاعر على الطلل وقوف الحائر المتحسر الذي يستذكر حال الدنيا والزمان، فلا يقدر على فعل شيء سوى الحيرة والوجد على حاله وحال أحبابه، والتعجب من أمر هذه الدنيا مما جعله قلقاً، فالمكان الطلل يجسد تجربة الشعور بتولي الأشياء، ونزوحها وتغيرها(١٢).إن الأطلال في دلالتها الرمزية شكل من أشكال الزمن، وصورة من صوره، والربط بين الأطلال والزمن يجعلها مسرحاً لعمله، وبنوع من الترابط والاقتران بينهما يبدو الطلل تحولاً للزمن، وهيئة من هيئاته.(١٣)

لقد بدا المتنبي وهو واقف على الطلل حائرا جزعا مما جعل الإبل تشاركه مشاعره ومعاناته، فتحيرت هي الأخرى، وثبتت في مكانها، ويبدو التفاعل الكبير بين الشاعر وناقته من خلال فزعه إليها يلثم تراب الأحبة الذي وطئته مناسمها علّه يفرغ ما بنفسه من احتباس العواطف الجياشة وما في نفسه المرهقة من شجن، أو لأجل أن تساعده في مصابه، خاصة أنها وطئت ديارهم؛ ولعله أراد من هذا كله أن تساعده في رحلة الحياة؛ لأن الناقة كانت وسيلة الرحلة الرئيسية، وهي من وسائل الشاعر المهمة للنهوض من كبوة الموت في المكان بما تمثّله الرحلة من تأكيد القدرة والقوة، وبالتالي الحياة. قال:

أنا لائمي إن كُنْتُ وقْتَ اللوائـــمِ   عِلِمتُ بما بي بين تِلْكَ المعالـــمِ
ولِكنني مِما شدِهتُ متَيـــــم   كسالٍ وقَلْبِي بائح مِثْلُ كاتـــــم
وقَفْنا كأنا كُل وجدِ قُلوبـِــنا   تَمكن من أذْوادِنا في القَوائـــــم
ودسنا بِأخْفاف المطِي تُرابهـــا   فَلا زِلْتُ أستَشْفي بِلَثْمِ المـــناسِم(١٤)

إنّه قلق الإنسان، وحيرته إزاء الموت الممتد في شعاب الزمان على الرغم من أن المتنبي كان صاحب ديانة سماوية يعرف من خلالها الغاية من وجوده، والمصير الذي سيؤول إليه بعد موته، وقد عاش في عصر متحضر بلغت فيه الثقافة العربية الإسلامية أوج ازدهارها، وقد كان هو نفسه مثقفاً ثقافة عالية، ولكن تجربة الإنسان في ظل الزمان تكاد تكون متشابهة في كثير من الأحيان مهما تهيأ له من علم وحضارة، بل لعلّ العلم والحضارة يزيدان من دهشته

ووجده وحيرته من حال الدنيا وأهلها؛ لأنهما في كثير من الأحيان يعمقان من غربة الإنسان، وانكساره إزاء فعل الزمن.

إن ما حدث للإنسان يؤثر بالمكان وهو جماد لا عقل له، ولا قلب، ولا مشاعر فكيف بالإنسان إذاً ؟! لقد بدت قيمة هذا السؤال من خلال مخاطبة المتنبي للمكان الطلل قائلاً:

أَثْلِثْ فَإنا أيها الطلَلُ نَبكِي وتُرزم تحتنا الإبِلُ
أولا فَلا عتْب على طلَلٍ إن الطلولَ لِمثْلِها فُعُلُ
لو كنتَ تنطق قلت معتذراً بي غير ما بك أيها الرجُلُ
أبكاك أنك بعض من شَغَفُوا لم أبكِ أني بعض من قَتَلوا
إن الذين أقمتَ واحتَملُوا أيامهم لِديارهم دولُ(١٥)

يثير سكون المكان الطلل المتنبي كثيراً، فهو يغضب ويستنكر من عدم مشاركته الإنسان (الشاعر)، والحيوان (الناقة) بالبكاء على من كان يسكنه من قبل، وتغير حاله، وفناء شبابه، فيطلب الشاعر إليه المشاركة في البكاء على سكانه الراحلين، ولكنه يجد له العذر من خلال إخبارنا بأنّه كان قتيل فراقهم أيضا؛ لذ لا يقدر على الشكوى والبكاء. لعل الشاعر أراد أن يقول في البيت الأخير إن رحيل المرأة عن المكان ينشر الموت والخراب فيه.

وقد لا يكتفي الشاعر بعتاب الطلل على عدم مشاركته إياه بالبكاء، بل نجده أحياناً يقف موقفاً غريباً منه، فيهاجمه مهاجمة شديدة ويدعو عليه، ربما لأنّه يذكّره بالموت والفناء، أو لكونه الموتَ والفناء ذاتَهما. قال:

ملث القطر أعطِشْها ربوعا وإلا فاسقِها السم النقِيعا
أسائِلُها عن المتَديريها فَلا تَدري ولا تُذْري دموعا
لَحاها اللهُ إلا ماضِيَيها زمان اللهو والخَود الشّموعا(١٦)

لقد عامل الشاعر المكان الدارس معاملة الكائن الحي، وطلب إلى السحاب أن يمنع عنه الماء؛ أي سبب الحياة، أو أن يذيقه الموت، وذلك بأن يسقيه سماً قاتلاً. هذا الموقف الغريب دعا ابن وكيع إلى القول إنّه لم يسبق أبا الطيب في الدعاء على الديار بالسم أحد(١٧)؛ لأن من عادة الشعراء أن يدعوا للأطلال بالسقيا، وهم في هذا الدعاء يؤكدون فكرة الموت فيها؛ لأنهم تعاملوا معها كما تعاملوا مع القبور التي تحتضن أحبابهم، حيث كانوا يدعون لها بالسقيا "حتى تبقى عهودها غضة من الدروس، لا يتسلط عليها ما يزيل جدتها".(١٨) ربما الذي جعل الشاعر يدعو عليها هذا الدعاء شدة إحساسه بالموت فيها؛ لأنّها لا تفعل شيئا سوى تجسيد الموت وتأكيده من خلال صمتها المطبق، وعدم قدرتها على التفاعل مع الشاعر الذي كان بحاجة للإجابة عن أسئلته

المحيرة؛ لذا نراه يستثني من دعائه عليها ما كان فيها من أمور تبعث في نفسه نشوة الحياة، وذكريات الماضي الجميل.

والطلل في مكان آخر ميت؛ لأن ذهاب أهله عنه قتله، فتحول إلى أرض موات أقبل عليها الخراب من كل حدب وصوب؛ لذا فالموت يتجسد فيه بشكل واضح سواء كان ذلك على مستوى الإنسان، أو على مستوى أشلاء المكان الأخرى من نؤي وبيوت....وهو ما عبر عنه المتنبي بقوله:

لاَ تحسبوا ربعكُم ولا طَلَلَـــــه   أولَ حي فِراقُكُم قَتَلَــــــــــه
قَد تَلِفَتْ قبلَه النفُوس بكـــــم   وأكْثرت في هواكُم العذَلَـــــه(١٩)

لقد شخّص الشاعر الفراق وجعله قاتلاً لأنّه أخذ أحبابه منه، وأبعدهم عنه، وأعمل القتل في المكان، ودليل ذلك هذه الآثار الباقية من جهد الإنسان وحياته، فهو يعبق برائحة الموت تنبعث من كل جانب منه.

لقد ذهب فالتر براونه إلى أن النسيب في الشعر هو تعبير عن المشكلة الوجودية، وأنه اختبار للفناء والتناهي، فالحب يذكّر الشاعر بحياته ووجوده، والأطلال تذكّره بالموت والفناء.(٢٠) فالمتنبي لا يقف في الطلل لأجل المكان؛ لأن المكان بحد ذاته لا يهمه، وإنما ساكنة المكان، مظهراً ضعفاً شديداً، وانكسارا كبيرا، وشكوى مرة. قال مخاطباً الظبية:

أظَبيةَ الوحشِ لَولا ظَبيةُ الأنَــسِ   لَما غَدوتُ بِجد في الهوى تَعِــسِ
ولا سقَيتُ الثَرى والمزن مخْلِفُــه   دمعا ينَشّفُه مِن لَوعةٍ نَفَســـــي
ولا وقَفْتُ بِجِسم مسى ثالِـــــثةٍ   ذي أرسمٍ درسٍ في الأرسمِ الدرسِ
صريع مقْلَتِها سآلَ دِمنَتِهـــــــا   قَتِيل تَكَسِيرِ ذاك الجفْنِ واللعسِ(٢١)

إن هذا الخطاب للظبية يشي بأمور كثيرة لعلّ من أهمها الإحساس بالألفة بينه وبينها، ولعلّ هذا ناتج عن أمرين اثنين: الأول: كثرة أسفاره وارتحاله من مكان إلى آخر، ومع أن في هذا إشارة هامة إلى همته العالية وسعيه الدؤوب في البحث عن المعالي، لكنّه أيضاً مؤشر على عدم الاستقرار، وفقدان السكينة؛ لأن المتنبي لو حقق بعض آماله وطموحاته لربما كان أكثر استقراراً. والأمر الثاني: أن الألفة بينه وبين هذه الظبية تأتت من كثرة إقامته في الصحراء معتزلاً الناس كما يقول شارح الديوان، وفي مسيرة حياة المتنبي ما يؤكد ذلك حيث كان يعاني من اغتراب كبير في حياته كما سيأتي، ولعلّ مجمل الأبيات تنبئ عن هذا التعلق الكبير بالمرأة يبثّها حبه ولوعته، ويبكيها دمعاً غزيراً يسقي الثرى لكنه سرعان ما يجف من شدة وجده وهو واقف بأطلالها أياماً وليالي طوالا يناجيها صريع حبها، وهي كالظبية في جمالها ونفورها معا، فجمالها

يدفعه للتعلّق بها، ونفورها يعذّبه ويضنيه، وليس هذا الوصف ببعيد عن حياة المتنبي الواقعية أبداً، ومما يؤكد هذا قوله أيضا:

دار المِلم لَها طَيفٌ تَهددنِي   لَيلاً فما صدقَتْ عيِني ولا كَذَبا
ناعيتُه فَدنا أدنَيتُه فَنَأى   جمشّتُه فَنَبا قَبلْتُه فَأبى(٢٢)

إن البيت الثاني يؤكد ما ذهبت إليه من أن المرأة هنا رمز للحياة حيث لا فرق بين طيف هذه المرأة وبين حياة المتنبي التي صورها لنا بأنها لا تتأتى له كما يريد، بل هي نافرة عنه كنفور الظبية، جميلة كجمالها، أو كحال هذا الطيف الذي يتفلّت منه ولا يواتيه كما يريد.

كان استخدام الشاعر لألفاظ الموت والصراع بادياً في شعره الغزلي، وفي حديث الطلل:(صريع، قتيل، تهددني) فقد كانت قوته وعنفه يسيطران على كل مناحي الحياة عنده، وكانت الألفاظ القوية التي تشبه ألفاظه في شعر الحرب بارزة بصورة واضحة حتى في شعره الغزلي، وهو مما لم يسبق إليه، وتفرد به.(٢٣)

لقد كان المتنبي يكثر من ذكر الطيف في شعره، وزيارة طيف المحبوبة مدعاة لهياج العواطف، وتأجج الأشواق، وهو أمر مهم عند أهل الغرام يتوصلون إليه بالمنام، وإنما تدعو الحاجة إليه عند طول الهجر، وشدة الضجر، ومقاساة نار الملل والسهر.(٢٤) وزيارة الطيف غالباً ما تكون في الليل حيث السكون والتفرغ، والبعد عن الناس إذ يزور طيف المحبوبة الشاعر حين يكون غير قادر على الالتقاء بها في الواقع، ولعلّ هذا نوع من التعويض عن الحرمان، وإذا كانت المرأة رمزاً للحياة، فإن طيفها هو الآخر رمز لآماله، والحلم الذي عجز الشاعر عن تحقيقه في الواقع؛ لذا سرعان ما يفلت من يديه.

وقد يلازم خيال المحبوبة الشاعر في حلّه وترحاله، وكأنه هاجس الحياة التي يخشى أن يفقدها في أي لحظة. قال:

لَكِ يا منازِلُ في القُلُوبِ منازِلُ   أَقفَرتِ أنْتِ وهن مِنْكِ أواهِلُ
يعلَمن ذاك وما عِلمتِ وإنما   أولاكُما ببكَى علَيهِ العاقِلُ
وِأنا الذي اجتَلَب المِنيةَ طرفُه   فَمن المطالَب والْقَتيلُ القاتِلُ
تَخلُو الديار من الظباءِ وعِنْده   مِن كُلّ تابِعةٍ خَيالٌ خاذِل(٢٥)

إن حياة الشاعر مقفرة مثل هذه الأماكن الدارسة لكنه ما زال متعلّقاً بها، فحبه للحياة ومباهجها يعمر قلبه، وهو يتعلّق بأحلامه وآماله وطموحاته من خلال تعلقه بطيفها، من هنا فسرت المقدمة الطللية في بعض أشعاره بأنها رمز لآمال الشاعر التي استولت على قلبه، وحنينا

إلى موطنه بعد أن أحس بآلام الغربة وهو يتقلب في بلاد الشام قبل اتصاله بسيف الدولة، وفي هذا النسيب لهجة صادقة مؤثرة ونغمة حزينة تؤيد هذه الرمزية.(٢٦)

أما السجن، فإنه المكان الثاني الذي بدا فيه ضعف المتنبي وانكساره، وهو قتل مع وقف التنفيذ؛ لأنه سلب لحرية الإنسان وشخصيته، وقد تصاحبه كل مظاهر الموت من حزن وعجز وعدم إمكانية التحقق الإنساني بكل أشكالها(٢٧)، وهو أشد وقعاً على شاعر مثل المتنبي في شخصيته وعنفوانه، وقد عانى الشاعر كثيراً من مرارته في غير مرحلة من مراحل حياته كما يبدو في شعره يستعطف السلطان لإخراجه من السجن:

أمالِكَ رقّي ومن شأنُــــه هِباتُ اللجين وعِتْقُ العبيــــد
دعوتُك عِنْد انْقِطاعِ الرجــا ءِ والموتُ مِني كحبل الوريــــدِ
دعوتُك لما براني البِلَــــى وأوهن رِجلَي ثِقْلُ الحديــــدِ
وقد كان مشْيهما في النعــال وقد صار مشْيهما في القُيــــودِ
وكُنْتُ مِن الناسِ في محـفِلٍ وها أنا في محفِلٍ مِن قـُـــرودِ
تَعجل في وجوب الـحدودِ وحدي قَبل وجوبِ السجــــودِ(٢٨)

لقد شعر الشاعر بانكسار كبير حيث لم يستجب له أحد في إخراجه من السجن حيث عاش الشاعر في غربة شديدة بين أناس لا ينتمي إليهم، ولا ينتمون إليه، كل هذا وهو ما زال حدثاً لا يجوز عليه مثل هذا العقاب.

ومما يؤكد ما ذهبت إليه من أن السجن انكسار وموت قوله:

أهون بِطُول الثواءِ والتلَفِ والسجن والقَيدِ يا أبــــا دلَفِ
غَير اختِيارٍ قَبِلْتُ بِرك بِــي والجوع يرضِي الأُسود بِالجِيــفِ
كُن أيها السجن كيفَ شِئتَ فَقَد وطنْتُ للموتِ نَفْس معــتَرِفِ
لَو كان سكْناي فِيك منْقَصةٌ لَم يكُن الدر ساكِن الصدفِ (٢٩)

لقد كان السجن بالنسبة للشاعر يشكّل صراعاً بين الحياة والموت؛ لأنه قيد لا يستطيع معه ممارسة طقوس الحياة، وإنما يعيش فيه حياة العذاب والمعاناة والألم والحزن والأسر، صحيح أنه قال هذه القصيدة وهو حدث إلا أن مشاعر الانكسار والعجز بادية عليه، لكنه لا يقلل من اعتزازه بنفسه، ولعل الصورة في البيت الأخير توضح ذلك؛ فالسجن لا يقلل من شأنه، ولا من مكانته، فهو كالدر لا يقلل من قيمته وجوده في الصدف الذي لا قيمة له مقارنة بقيمة اللؤلؤ.

والإقامة الجبرية التي قضاها في مصر بأمر من كافور هي كذلك نوع من أنواع السجن، من هنا فقد كانت إحدى مظاهر انكسار المتنبي في حياته نتيجة لما عاناه خلالها. قال فيها:

أقَمتُ بأرضِ مصر فَلا ورائـي   تَخُبُّ بِي المطِي ولا أمامِـــــي
قَلِيلٌ عائِدِي سِقِم فُـــــؤَادِي   كَثِير حاسِدِي صعب مرامــــــي
عِلِيلُ الجِسمِ ممتَنِع القِيــــامِ   شَدِيد السكْرِ من غير المـــــدامِ
وزائرتي كأن بِها حيـــــاء   فَلَيس تَزور إلا في الظــــــلامِ
بذَلْتُ لَها المطارِفَ والحشايا   فَعافَتْها وباتَتْ في عظامِــــــي
يضِيقُ الجِلْد عن نَفسِي وعنْها   فَتُوسِعه بِأنْواعِ السقـــــــامِ(٣٠)

لقد عانى الشاعر من مرض الحمى الذي لازمه مدة من الزمن وهو بمصر عند كافور، فعانى معاناة جسدية شديدة، ولازم الفراش دونما سفر أو ارتحال مما زاد في معاناته، إضافة إلى قلة الأصدقاء، وكثرة الحساد، والمنع من الحركة. قال:

يقول لي الطبيب أكَلْتَ شَيـــئاً   وداؤُك في شَرابِك والطعـــــامِ
وما في طبهِ أني جـــــــواد   أضر بِجسمهِ طُولُ الجمـــــامِ
تَعود أن يغَبر في السرايـــــا   ويدخلَ مِن قَتامٍ في قَتـــــــامِ
فَأُمسِك لا يطالُ له فَيرعـــــى   ولا هو في العِليق ولا اللجــامِ(٣١)

يتهكّم الشاعر بالطبيب الذي يعالجه لاعتقاده أن مرضه كان بسبب طعام أو شراب دخل جوفه، فيقول: لا يوجد في علم هذا الطبيب أني جواد أصيل تعود الحياة النشيطة، والحركة الدائمة، ودخول غمار الحروب من معركة إلى أخرى، أما الآن فقد ربط بحبل قصير في مكان محدود، حيث لم يعطَ حريته ليفعل ما يريد، ويحقق ما يأمل من المعالي، وغايته من الوجود، ولم يقدم له ما يطمع إليه من المجد كما وعده كافور، وهذا التضييق عليه هو سجن لا لجسده حسب، وإنما لحريته وإنسانيته. لقد زاد المرض من شعوره بذل القيد والأسر، فكان هو الآخر أحد أسباب معاناته، فقد كان شكلاً من أشكال الموت، وسبباً من أسبابه.

لقد لازمت الشاعر في ظل الإقامة الجبرية والمرض حالة شديدة من اليأس من الشفاء، والعودة إلى حياته الطبيعية كما في قوله:

ألا يا لَيتَ شِعر يدِي أتمسِـــي   تَصرفُ في عِنانٍ أو زمـــــامِ
وهلْ أرمي هواي بِراقِصـــاتٍ   محلاةِ المقاوِدِ بِاللغـــــــامِ
فَربما شَفَيتُ غَلِيلَ صـــــدري   بِسيرٍ أو قَناةٍ أو حســـــامِ(٣٢)

لعلّ الصورة في (شفيت غليل صدري) توحي بمقدار التعطّش الذي كان لدى الشاعر للسفر وحياة الفروسية وغيرهما من أسباب المجد، فشبه تعطشه إلى هذه الأمور بغلة المرض الذي يرغب بالشفاء والخلاص منه، ولا يكون هذا الشفاء إلا بتحقيق أكبر قدر ممكن من هذه الأمنيات.

لقد كان كلّ من الموقف الطللي والسجن والإقامة الجبرية من المواقف المكانية التي ساهمت في إضعاف الشاعر وانكساره، و كانت كذلك من بواعث الخوف من الموت؛ لذا كانت رائحته تنبعث منها، وفي أحيان كثيرة نرى الموت منغرساً ومتجذّراً فيها بصورة كبيرة بحيث لا يمكن اقتلاعه من نفس الشاعر خاصة إذا صاحبتها ظروف المرض والغربة كما هي حال المتنبي.

ثانيا - الإنسان

كان الإنسان أيضا عاملا من عوامل انكسار المتنبي وشعوره بالاغتراب، وقد تمثّل هذا في علاقته بعدد من ممدوحيه من أهمهم سيف الدولة، خاصة بعدما ساءت العلاقة بينهما، وكذلك في أعداء المتنبي وخصومه، فأما علاقته بسيف الدولة، فقد كانت من أهم الأسباب التي شكّلت مراحل حياته الأخيرة بالأسى والهم والحزن خاصة بعد ما رحل من عنده غاضبا إلى كافور، لقد كان حب المتنبي لسيف الدولة أحد مشكلاته الكبرى التي زادت في تعقيد حياته، فقد التحق به، وحضر معه وقائعة الحربية العظيمة، ومدحه مدحاً جعل شهرته تطير في الآفاق، وخلّده بشعره خلوداً عظيماً لما وجد ضالته فيه أميرا كريما يتسم بخصال طالما تغنّى المتنبى فيها من العروبة والثقافة والشجاعة وسمو النفس، فأحبه حبا حقيقيا، وتعلّق فيه تعلّقا شديدا خاصة وأنه وجد فيه الحامي الذي يحتاج إليه حاجة ماسة لمساعدته في الوقوف في وجه أعدائه وحاسديه الكثر، فكان هذا جميلا طوق به عنقه لوقت غير قصير إضافة إلى كرمه الذي حول حياة المتنبي من الفقر إلى الغنى، لكن المودة لم تدم بينهما؛ فانصرف عنه(٣٣) بعدما فقد حظوته عنده، وتعرض لمحاولة قتل في عرينه.

اختلف الدارسون حول أسباب القطيعة بين سيف الدولة والمتنبي، فمنهم من عزاها إلى ما ناله في مجلس سيف الدولة من الإهانة غير مرة خاصة في حادثة ضرب ابن خالويه له، ومنهم من عزاها إلى كيد أبي فراس الحمداني لما رأى تقديم سيف الدولة للمتنبي وكثرة عطاياه له، ومنهم من عزاها إلى حب المتنبي لخولة أخت سيف الدولة وما تبع ذلك من معاناة، وما لقيه من كيد أقربائها وسعايتهم ضده(٣٤)، وأياً كان السبب وراء فتور العلاقة بين المتنبي وسيف

الدولة، ومن ثَم انقطاعها، فقد أوذي المتنبي جراءها كثيرا، وقد أثر هذا الأمر على مراحل حياته اللاحقة بصورة كبيرة.

رغم الحب الكبير الذي كان المتنبي يكنّه لسيف الدولة كما بدا من شعره، وقد أفصح عنه في غير مناسبة إلا أن سيف الدولة لم يكن يبادله هذه المشاعر كما أرادها الشاعر، ربما كان السبب وراء ذلك كثرة مشاكسات الشاعر لمن هم في مجلس سيف الدولة، وكثرة تفاخره بنفسه وتعاليه(٣٥)، وكذلك لتباطؤ الشاعر في مدحه أحيانا، فكان هذا مما لا يرضي سيف الدولة، بل كان سرعان ما يتحول عنه إلى غيره من الشعراء والخصوم. وقد بدت مواقف سيف الدولة السلبية من الشاعر في مناسبات كثيرة منها قول الشاعر نفسه معتذرا له عن تأخره في مدحه:

أرى ذلك القُرب صار ازورارا   وصار طَويلُ السلامِ اخْتِصارا
تَركْتَنِي الْيوم فِي خَجلَةٍ   أموتُ مِراراً وأحيا مِرارا
أسارِقُك اللحظَ مستَحِيا   وأزجر فِي الخَيل مهري سِراراً
وأعلَم أنّي إذَا ما اعتَذَرتُ   إلَيك أراد اعتِذاري اعتِذَارا
ولَكِن حمى الشعر إلا الْقَلِيلَ   هم حمى النوم إلا غِرارا(٣٦)

إن هذه القصيدة أقرب ما تكون إلى الاعتذار والشكوى من المتنبي لصديق حبيب لنفسه من الزمان وهمومه التي منعته من قول الشعر يأمل بتعاطفه معه، وهي تشير إلى مدى قوة العلاقة التي كانت بينهما في السابق، وكيف تحولت عن حالتها الأولى إلى وضع غير مريح للشاعر.

ولعلّ استماع سيف الدولة إلى حساد المتنبي، وهو يعلم أن جلّ حسدهم كان بسبب حبه له، وتسطير المدائح العظيمة في بطولاته سبب كاف للتشكيك في عواطفه تجاهه، وقد تزايدت هذه المواقف حدة، وبدت أكثر تعقيدا في أخريات أيام إقامته في بلاطه.قال مستصرخا سيف الدولة لمساعدته في محنته محملا إياه جزءا مما حلّ به، ومؤكدا أن قربه منه هو أحد أسباب تكاثر الحساد من حوله في قوله:

أزِلْ حسد الحسادِ عني بكَبتهم   فأنْتَ الذِي صيرتَهم لي حسدا
إذا شد زندي حسن رأيك فيهم   ضربت بسيف يقطع الهام مغمدا
وما أنا إلا سمهري حملته   فزين معروضا وراع مسددا(٣٧)

وقوله كذلك:

وأكبر تيهي أنني بك واثق   وأكثر مالي أنني لم آمل
لعل لسيف الدولة القرم هبة   يعيش بها حق ويهلك باطل(٣٨)

لكن صرخات المتنبي كانت في واد؛ لأنها لم تجد الصدى الذي كان يتوقعه من سيف الدولة، من هنا بات المتنبي لا يرى حياته إلا مزيجا من الغضب والقهر، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد من العتاب، وإنما أصبح في مرحلة تالية أكثر شدة وألما فقال يعاتبه على تهاونه في أمر أعدائه قصيدة صاخبة مطلعها:

واحر قلباه ممن قلبه شبـــم   ومن بجسمي وحالي عنده سقم(٣٩)

تعرض الشاعر في هذه القصيدة لحساده وأعدائه، ومزج فيها بين مدح سيف الدولة وعتابه متحديا حاسديه وخصومه تحديا عظيما، ومعرضا بهم تعريضا كبيرا خاصة أبي فراس الحمداني، وقد ألمح من خلال القصيدة إلى أنه قد يضطر إلى ترك حلب إلى مصر، وخرج غاضبا من مجلس سيف الدولة، ولم يزره لمدة قصيرة إلا أنه عاد مرة أخرى بعد مراسلات بينهما، فاستقبله الأمير بطريقة توحي باهتمامه بعودته، ورضاه عنها، وقد مدحه بعد ذلك بعدة قصائد، وهنأه في مناسبات خاصة لكن بصورة متقطّعة، إلا أن الأمور لم تعد كسابق عهدها بينهما، كما لم تخفت عزيمة أعدائه في إيذائه، بل تحينّوا له الفرصة التي واتتهم في عام ٣٤٦هـ في مجلس سيف الدولة حيث ضربه ابن خالويه بمفتاح أسال دمه بعد مشادة بينهما دون أن ينتصر سيف الدولة له قولا ولا فعلا، فتركه بعد ذلك دونما رجعة.

كان شعور المتنبي بالغضب والانكسار يزداد يوما بعد يوم بعدما رحل عنه خاصة بعد لجوئه إلى كافور، وقد بدا غضبه هذا في قصائده التي نظمها وهو في بلاطه مبينا أنه لا يرضى بمكان لا يكون فيه مكرما حتى لو وجد فيه المال الكثير معرضا بما لقيه في ظل سيف الدولة، منها قصيدته التي مطلعها:

فراقٌ ومن فارقت غير مذمـــمِ   وأم من يممت خير ميمـــمِ (٤٠)

لم يتوقف كيد الحساد له بمفارقته سيف الدولة، بل استمروا بفعلهم هذا في مجلسه، مما كان يزيد من غضب الشاعر، فقد بلغ غضب المتنبي أوجه في قصيدته التي قالها وقد بلغه أن قوما نعوه في مجلس سيف الدولة مشيرا إلى أشكال من المعاناة التي عاناها في الماضي وهو في بلاط سيف الدولة، وقد بدا فيها غاية في الانكسار والغضب. قال:

بم التعلّلُ لا أهل ولا وطـــن   ولا نديم ولا كأس ولا سكـــن
كم قد قتلتُ وكم قد متّ عندكـــم   ثم انتفضتُ فزالَ القبر والكفـــن
رأيتكم لا يصون العرض جاركـــم   ولا يدر على مرعاكم اللبـــن
جزاء كل قريب منكم مـــلُّ   وحظُّ كل محبٍ منكم ضغـــن
وتغضبون على من نال رفدكـــم   حتى يعاقبه التنغيص والمنـــن

ولا أقيم على مالٍ أذل بـ ـ ـ ـ ـه   ولا ألذُ بما عرضي بـ ـه درن(٤١)

لكن هؤلاء الحساد لم يكونوا في مجلس سيف الدولة فحسب، بل كانوا في معظم الأماكن التي ارتحل إليها، وحتق فيها نجاحا. قال في وصف معاناته إزاءهم مصوراً طول نهاره وليله قلقاً وهماً، حيث تماثلت عنده كل من الحياة والموت لكثرتهم في حياته:

وما لَيلٌ بأطْولَ مِن نَهـ ـ ـ ـ ـارٍ   يظَلُ بِلَحظِ حسادِي مشُوبـ ـ ـ ـ ـ ـ ـا
وما موتٌ بأبغَضَ مِن حيـ ـ ـ ـاةٍ   أرى لَهم معِي فِيها نَصِيبـ ـ ـ ـ ـا(٤٢)

وقال متوجعا من كيدهم له، مظهرا يأسا كبيرا من إمكانية مهادنتهم أو التصالح معهم:

أعادى على ما يوجب الحب للفتى   وأهدأ والأفكار في تجـ ـ ـ ـ ـ ـ ـول
سوى وجع الحساد داوِ فإنـ ـ ـ ـه   إذا حلّ في قلب فليس يحـ ـ ـ ـ ـول
ولا تطمعن من حاسد في مـ ـودة   وإن كنت تبديها له وتنـ ـ ـ ـول(٤٣)

لقد علل بعض دارسي شعر المتنبي كثرة حساده بعدم مداراته للآخرين من حوله(٤٤)، والحقّ يقال إن شخصية المتنبي ليست من الشخصيات التي تُداري، أو تتصنع الرضى والقبول في علاقاتها مع الآخرين، وإنما كان شديد الوضوح، وصادقاً، وصاحب طموح يستفز من حوله من الكسالى الذين يركنون إلى سهولة الحياة ودعتها، أو الرضى والقبول بكل ما هو موجود، من هنا يعلل تكالب الحساد عليه، وانتشارهم من حوله بسبب تميزه وتفرده، إن هذه الظروف مجتمعة جعلته غير قادر على التكيف مع الآخرين كما جعلته يعاني من اغتراب كبير. قال موضحاً اضطراره لمصادقة من لا يناسبه ومشبهاً الهوى بلباس يرتديه من ليس أهلا له:

وقَد يتزيا بِالهوى غَير أهلِـ ـ ـ ـهِ   ويستَصحِب الإنْسان من لا يلائمه(٤٥)

يرى بعض النقاد أن هناك تناقضاً واضحاً بين طموح المتنبي وتعاظمه، وبين طلب النوال من الأمراء، والبخل الشديد الذي شاع عنه(٤٦)، ولا أرى تناقضاً بين الحالتين؛ لأن نوال الأمراء كان حقّاً للشاعر في ذلك العصر لولاه لما استطاع الشاعر الاستمرار، وأيضا فإن المتنبي كان يعلم علم اليقين قيمة المال في الحياة؛ لأن البقاء إنما يكون بالمال، وكذلك هو من ضرورات المعالي التي يطلبها، من هنا كان حريصاً عليه؛ وكان يعمل دائماً على تحصين نفسه بالمال والرجال، ولكنه لم يكن مبتذلاً في مديحه، فهو قد مدح العظماء كسيف الدولة وأمثاله، وأما كافور فسواء أجبره كافور على مدحه، أو أجبره طموحه إلى الولاية على هذا المدح، فإنّه في مجمله يفسر على أنه من باب الذم والهجاء(٤٧)، إلا أنّه رغم هجائه له، فقد كانت علاقته بكافور من أهم أسباب انكساره.

لقد برر المتنبي العلاقة السلبية بينه وبين كثير من الناس بسوء أخلاقهم؛ مما جعله يبتعد عنهم كما في قوله:

إذَا ما الناس جربهم لَبِيب   فّإني قَد أكلْتُهم وذَاقَا
فَلَم أر ودهم إلا خِداعاً   ولم أر دِينهم إلا نِفاقَا(٤٨)

وقال في زمانه:

إنّا لفي زمن ترك القبيح به   من أكثر الناس إحسان وإجمالُ(٤٩)

لعلّ الظروف السياسية السائدة في عصره من فساد الحكم، وتسلّط الأعاجم على العرب ودولتهم مع ما صاحب ذلك من ذلّ وهوان كانت إحدى الأسباب المهمة وراء عدم تصالحه مع الآخر. قال موضحاً نظرته إلى هذا الأمر حاثّاً العرب على ضرورة التخلّص من هذا الذل الذي لحقهم:

وإنما الناس بالملوك وما   تُفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب   ولا عهود لهم ولا ذمم(٥٠)

ويبرز مقدار رفضه لمن حوله بأن صور أناس عصره بصورة تبدو فيها كراهيته لهم ونفوره منهم. قال:

أذم إلى هذا الزمان أُهيلَه   فأعلمهم فَدم وأحزمهم وغد
وأكرمهم كلب وأبصرهم عَمٍ   وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدوا له ما من صداقته بد
بقلبي وإن لم أروَ منها ملالةً   وبي من غَوايتها وإن وصلت صد(٥١)

وقال مصورا قلة أصدقائه مبينا صفة شر البلاد:

شَر البِلادِ بلاد لا صدِيقَ بها   وشَر ما يكْسِب الإنْسان ما يصِم
وشَر ما قنَصتْه راحتِي قَنص   شُهب البزاةِ سواء فِيهِ والرخَم(٥٢)

لقد كان عصر المتنبي عصر قلق وتصدع وثورات، فضلا عما كان يتبعها من سلب ونهب، فهو عصر مصبوغ بالدم والفتن والاضطرابات، وقد انبرى لكشف قلق عصره، وقهره وإحباطاته، فعبر عنها بكل صدق وأمانة وواقعية، ومنذ نعومة أظفاره ومنذ أن كان حدثا كان ثائراً، ولد على هذا، ونشأ وتربى عليه، لقد عبر المتنبي عن ثورته على مفاسد عصره بما كان يملك من شعر ثوري، ولما يئس من صلاح زمانه وأهل ذاك الزمان، لم يبقَ له سوى الدموع والأحزان يذرفها على حاله وحال ذاك الزمان. قال:

خَلِيلاي دون الناسِ حزن وعبرةٌ   على فَقْدِ من أحببتُ ما لهما فَقْدُ

تَلَج دموعِي بالجفُون كأنما   جفُونِي لِعينَي كُلّ باكِيةٍ خَد
وإنّي لَتُغْنِيني مِن الماءِ نُغْبَةٌ   وأصبِر عنه مِثْلَ ما تَصبِر الربد
وأمشِي كَما يمضِي السنان لِطِيتي   وأطْوِي كما تَطْوِي المجلحةُ العقْد
وأُكْبِر نَفْسي عن جزاءٍ بغَيبةٍ   وكل اغْتِيابٍ جهد من لاله جهد
وأرحم أقْواماً مِن العِي والْغَبَا   وَأعذِر في بغْضِي لأنهم ضِد(٥٣)

مع كل الحزن البادي في الأبيات، والانكسار الذي بدا أكثر عمقاً من أي وقت مضى، والدموع التي تتحدر من بين كلماته، إلا أنه رسم لنفسه صورة راقية في سمو الأخلاق من صبر وقناعة وشجاعة، وإيجاد العذر للآخرين على جهلهم وعيهم، وترفّع عن الصغائر، وهذا لا يعهد كثيراً عند المتنبي. ولعله يرد إلى ما رآه في دنياه من نوائب، ويأسه من صلاح حال الدنيا. قال:

لَيتَ الحوادثَ باعتْنِي الذي أخَذَتْ   مِني بِحِلْمي الذي أعطَتْ وتْجرِيبي
فَما الحداثَةُ مِن حِلْمٍ بِمانِعة   قَد يوجد الحِلْم في الشبان والشيبِ(٥٤)

لقد أدت سوء العلاقة بين المتنبي وخصومه إلى معاناته من غربة مكانية ونفسية في آن واحد، فقد كان كثير التنقل والارتحال من مكان إلى آخر سواء كان هذا التنقل اختياريا أم قسريا مما جعله يعاني في ظل هذه الغربة خاصة القسرية منها معاناة كبيرة حيث بدا فيها الانكسار يغلف حياته، ويقلق وجوده. قال مشيرا إلى عدم استقراره في مكان واحد قلقاً، وخوفاً على حياته، ومبدياً غيظه وغضبه على كل من حوله:

وغَيظٌ على الأيامِ كالنارِ فِي الحشا   ولَكِنه غَيظُ الأَسِيرِ على القد
فإما تَرِينِي لا أُقِيم بِبلْدةٍ   فآفَةُ غِمدي فِي دلُوقي مِن حدى
يحل القَنا يوم الطعان بِعقْوتِي   فَأحرمه عِرضِي وأُطْعِمه جِلادي
تُبدلُ أيامي وعيشِي ومنْزلِي   نجائب لا يفْكِرن فِي النحسِ والسعدِ(٥٥)

إن الكلمات التي استخدمها المتنبي تشي بمقدار الغضب والألم اللذين يستكنان في نفسه(غيظ، النار، الحشا، غيظ الأسير، القد، تبدلّ أيامي وعيشي......) إنها كلمات توحي بشدة معاناة المتنبي وشعوره بأسر القيد رغم كثرة ارتحاله.

ويبدو اغتراب المتنبي الكبير في أكثر مناسبات الإنسان فرحا؛ أي العيد. قال:

عِيد بِأيةِ حالٍ عدتَ يا عِيد   بِما مضى أم بِأَمرٍ فِيك تَجدِيد
أما الأَحِبة فالْبيداء دونُهم   فَلَيتَ دونَك بِيداً دونها بِيد
لَولاْ العلى لم تَجب بي ما أجوب بِها   وجناء حرفٌ ولا جرداء قَيدود
وكان أطْيب مِن سيفي مضاجعةً   أشْباه رونَقِهِ الْغِيد الأمالِيد

لم يتركِ الدهر مِن قلْبي ولا كَـبدي   شَيئاً تُتَيمه عين ولا جِيــــــــد

العيد حالة فرح بالنسبة للناس؛ لكن المتنبي لم يره كذلك؛ لأنه بعيد عن أهله وأحبابه، وبسبب ما يعانيه في ظلّ حبسه عند كافور ذلك أن طموحه الكبير وحبه للمعالي جعله يضحي بأشياء كثيرة كان يمكن أن يجد فيها سهولة الحياة ومتعها؛ لذا وصل إلى هذه الحال من اليأس والإحباط. قال:

يا ساقِيي أخَمر فِي كُئوسكُمــــا   أم فِي كُئوسِكما هم وتَسهيـــــــد
أصخْرةٌ أنا؟ مالي لا تُغَيرنِـــــي   هذي المدام ولا هذي الأغاريـــــد
إذا أردتُ كُميتَ الخَمر صافِيــةً   وجدتُها وحبِيب النفْسِ مفْقُـــــــود
ماذَا لَقِيتُ مِن الدنْيا وأعجبــــها   أنّي بِما أنا باكٍ مِنْه محســـــود(٥٦)

يأتي الشاعر في هذه الأبيات على كثير من المفارقات التي تنبئ بحالة عدم التوازن التي يعيشها، فالعيد أصبح مناسبة لتذكّر الحزن والأسى بدل الفرح، وتحولت الخمرة إلى سبب للهم والتسهيد بعدما كانت سبباً لنسيان الهم والألم.

لقد ذهب بعض دارسي شعر المتنبي إلى أنه كان يتعرض للرفض من الآخرين بسبب أطماعه في الولاية ولهاثه خلفها، والحقّ أن المتنبي كان إنساناً يختلف عن كثيرين من البشر اختلف الناس حوله بحيث كان شخصية جدلية بالمعنى النقدي للجدل، ففي حين يراه بعض النقاد والدارسين شخصية متعالية ومغرورة، وبالتالي لا يتقبلّون ما صدر عنه من شكوى وألم وغربة، يراه آخرون بأنه شخصية عظيمة فهم دور الإنسان وواجبه في الحياة، وذلك من فلسفة عميقة ملخّصها أن الإنسان الحق هو الذي يسعى لأجل تحقيق كل ما يطمح إليه في حياته طالما أن هذه الطموحات مشروعة، وطالما أنه مؤهل لها، ويجد ويجتهد في سبيل تحقيقها، وقد يضحي بأشياء كثيرة في سبيلها، وهكذا كان المتنبي، فقد رأى أن الحياة الحقّة في العمل والعلم والثقافة العالية، والمغامرة، وفنون الفروسية المختلفة، وفي التخلي عن حياة الدعة واللين، وفي استغلال الفرص في سبيل الحياة الفضلى، بل السعي وراءها سعياً حثيثاً.

لم يكن المتنبي إنساناً حالماً، بل إنساناً عاملاً فاعلاً، وهو منذ صغره كان طموحاً، وقد رأى نفسه إنساناً مؤهلاً، فهو صاحب ثقافة رفيعة، وشاعرية عظيمة، وهمة عالية، وطموح بلا حدود، وشجاعة الأبطال، ومن ثم وجد حقّه في التميز، وفي الولاية، خاصة أن الظروف في زمانه عمقّت لديه هذا الشعور مع وجود كثير من الحكام من غير العرب الذين كانوا في نظره غير مؤهلين، فكانت تثور ثائرته عليهم، وعلى ذلك الزمان الذي جعل أمثالهم يحكمون العرب الذين كان يعتز بهم أيما اعتزاز، ويراهم الأولى في حكم أنفسهم.

لقد كان المتنبي مسكوناً بحب الحياة الكريمة، فسعى جاهداً لتحقيقها مهما كلّفه ذلك من حسد الحاسدين، وخيانة الخائنين، وقهر الزمان وقلة الصديق. قال يخاطب عاذلته التي طلبت منه الراحة والسكون مبينا فلسفته في الحياة:

ذريني أنل ما لا ينال من العــــلا   فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
تريدين لقيان المعالي رخيصــــة   ولا بد دون الشهد من إبر النحــــــل(٥٧)

كان المتنبي عنيفاً كعنف القهر الذي تعرض له وعاش تحت وطأته، فقد خرج إلى الدنيا مسكوناً بهم نسبه الذي كان مشكوكاً فيه، والذي يشكّل عند العربي- خاصة- أكبر جرح في حياته، بل الجرح النازف الذي ليس له شفاء، إضافة إلى هم اليتم والفقر كل هذه الظروف شكّلت شخصيته ونفسيته، فجعلته متطرفاً في تصرفاته أحياناً.

ويبلغ الانكسار الناتج عن عدم التصالح مع الآخر غايته عند المتنبي في حنينه إلى الموت ليمثّل عنده اليأس في أقصى صوره(٥٨)، وقد لا يكتفي بهذا الحنين، بل نراه يتمناه حينما تتكاثر عليه المصائب والهموم. قال:

كفى بك داء أن ترى الموتَ شافِــياً   وحسب المنايا أن يكُن أمانِيــــــــــا
تَمنيتَها لَما تَمنيتَ أن تَــــــرى   صديقاً فَأعيا أوعدوا مداجِيــــــا(٥٩)

في هذه الصورة مفارقة كبيرة إذ أصبح الموت الدواء الشافي، وأصبحت المنايا أُمنية، فالموت غاية الهلاك، فكيف له إذاً أن يصبح دواء شافياً من الأدواء ؟! إلا إن كانت هذه الأدواء لا علاج لها، والمفارقة الثانية أن الإنسان عادة يتمنى شيئاً محبباً إلى نفسه، أما المنايا، فهي كلمة مكروهة لا أحد يتمناها، ولعلّ الذي دفع المتنبي إلى ذلك اضطراره إلى مدح كافور الإخشيدي بعدما ترك سيف الدولة إثر خلاف بينهما، ولكن مدحه لكافور لم يحقق له شيئاً من طموحاته وأحلامه، بل على العكس من ذلك لاقى عنده كل مشقّة مما دعاه إلى تمني الموت حزناً ويأساً وكراهية لكل من حوله.

وقد يصبح الموت في بعض المواقف ذا طعم لذيذ. قال في هجائه لكافور:

إن امرءاً أمةٌ حبلى تُدبــــــره   لَمستَضام سخِين العين مفْـــؤُود
ويلُمها خُطةً ويلُم قابِلــــــها   لِمثْلها خُلِقَ المهريةُ القُــــــود
وعِنْدها لَذ طَعم الموت شاربــــه   إن المنِيةَ عِنْد الذلّ قِنْدِيــــد(٦٠)

يكشف الشاعر هنا عن صفة من صفات كافور الجسدية التي جعلها ميدانا لسخريته واستهزائه، فهو يشبهه بالأمة لعدم آلة الرجال، وجعله حبلى لعظم بطنه، وفي هذه الأبيات تعريض بأبي بكر بن طغج وهو ابن سيد كافور السابق(٦١)؛ لأن الذي يرضى أن يديره مثل

كافور لا عقل له، ولا فؤاد، وهي بلا شك حاله تثير العجب، حيث إنها حالة من الذلّ لا يجوز للعاقل القبول بها، أو السكوت عليها؛ لذا يحلو طعم الموت عندها إذ تصبح المنايا في مواقف الذلّ كالعسل، وهذه مفارقة أخرى، فالموت طعمه مر، ولا يمكن أن يحلو في عين إنسان، والمنايا كلمة مكروهة تثير في النفس الخوف والفزع، لكنها في مواقف الذل والهوان تصبح ذات طعم طيب، ويتغير موقف الإنسان الحرّ منها إذ يرضى بها، ولا يرضى بسيادة شخص مثل كافور.

لقد كانت حياة المتنبي مزيجاً من الغربة والاغتراب، وكثرة العواذل والحساد والأعداء، وقد حاول المتنبي جاهداً التقليل من شأن هؤلاء في حياته في مواطن كثيرة من ديوانه بأن لا يجعل لحسدهم تأثيراً مهماً عليه، وقد بقي مكافحاً صلباً حير الأعداء والأصدقاء إلى آخر لحظة في حياته.

ثالثا – الزمان

كان للزمان دور كبير في انكسار المتنبي، ومن المواقف الزمانية التي بدا فيها انكسار المتنبي وضعفه: قسوة الدهر، والشيب، والليل، والموت. أما الدهر فقد ارتبط معناه بالغلبة والقهر، وقيل: سمي الدهر دهراً؛ لأنّه يأتي على كلّ شيء ويغلبه. والدهـر: النازلة في اعتقادهم؛ لأنّه يأتي بالخطوب والأمور العظيمة(٦٢). لقد تجسد الزمن عند الشعراء العرب بـالدهر، فكان يرمز للزمن به، ولما كانت المعاجم تعكس فكر أصحابها ورؤيتهم للأمور، فإن هذا يلخّص لنا نظرة العرب للدهر، إنه فاجـع يأتي بالويلات، مفرق للأحباب، وهو قوة جبارة تقف في وجه الإنسان، وتترصده في مختلف مواقعه.

إن الأفكار عن الزمان ليست عالمية أو موحدة، وإن كانت في أغلبها تتفق حول أفكار معينة، فهناك تماثيل تصور لنا فكرة الزمان منها تمثال إنسان برأس أسد ممسك بيده كرة. أما مفهوم الزمان عند قبائل الهوبي مـن هنود أميركا مثلاً، فهو على العكس تماماً أي أنه إيجابي، فهو عندهم ما يحدث عندما تنضج الذرة أو تكبر الماشية.(٦٣)

هناك أزمة لا متناهية بين الإنسان والزمن من مظاهرها كثرة صروف الدهر، وقد أشار المتنبي إلى ذلك، فشكا منها شكوى مرة، مبيناً أنه لا فائدة ترجى من معاتبتها لكثرتها، خاصة مع عدم اكتراثها لمعاتبة الإنسان لها كما في قوله في رثاء محمد بن إسحق التنوخي مصورا العلاقة بينه وبين الدهر بأنها علاقة ثأر كما في قوله:

لأي صروفِ الدهرِ فيهِ نُعاتِـــب   وأي رزاياه بوِتْرٍ نُطالِـــــب(٦٤)

إن استخدام الشاعر لصيغة الفعل المضارع(نعاتب ونطالب) تصور ديمومة محاولة الإنسان معاتبة الدهر، والتشكي من حاله، وكثرة رزاياه التي تستدعي ثأر الإنسان منه، وتطلّعه

للخلاص من ظلمه؛ لقد صور الشاعر الدهر بصورة إنسان جمعت بينه وبين بني البشر علاقة ثارات كبيرة ودائمة لا يدري بأي منها يطالبه، فصروفه من كثرتها متراكمة بعضها فوق بعض، وهو ما عبر عنه بقوله:

رماني الدهر بالأرزاءِ حتـــــى   فُؤَادِي في غِشاءٍ مِن نِبـــــــال
فَصِرتُ إذَا أصابتْني سِهــــــام   تَكسرتِ النصالُ على النصـــال
وهان فَما ُأبالي بالرزايـــــــا   لأني ما انْتَفَعتُ بأن ُأبالـــي(٦٥)

لقد صور المتنبي كثرة مصائب الدهر وتراكمها تشبيهاً بديعاً، لقد جعلها من كثرتها لا تستطيع الوصول إلى قلبه، وذلك لتزاحمها عنده حيث إن بعضها يكسر بعضاً، والدهر يبدو كأنما يتقصد الشاعر تقصداً(رماني)؛ ولأجل هذا كلّه أصابته حالة من عدم المبالاة بالدهر، وبمصائبه؛ لأنّه لا فائدة تُرجى من ذلك.

من المصائب الأخرى التي سببها الدهر للشاعر أنّه تركه في حالة يأس شديد من الدنيا ومتعها خاصة فيما يتعلق بالمرأة، وبالتالي بالحياة باعتبار المرأة كانت رمزا من رموزها المهمة عند المتنبي؛ فلم يعد له أي رغبة في شيء جميل أو حبيب إلى نفسه. قال:

لم يتركِ الدهر مِن قَلْبِي ولا كَبِدِي   شَيَئا تُتيمه عين ولا جِـــيد(٦٦)

وجرثومة الحمى التي أصابته بالمرض، وجعلته قعيد الفراش هي بنت للدهر، فهو أب لكل نائبة تصيب الإنسان:

أبِنْتَ الدهر عِنْدِي كُل بِـــنْتٍ   فَكَيفَ وصلْتِ أنتِ من الزحـامِ(٦٧)

إن تشخيص المتنبي للدهر، ووصفه إياه بأنه محارب قوي، ورامٍ ماهر جعله أيضاً يشخّص مصائبه، فهي بنات له تمشي وتصل إلى هدفها بدقّة وكأنها استمدت قدرتها في إصابة هدفها من قدرة الدهر نفسه.

وهو كاره للدهر؛ لا لأنّه يؤذي الشاعر فحسب، ولكن لأنّه لا أمل لأحد بالحياة عنده؛ فمآل الحياة فيه إلى الموت، ومآل النسل إلى القبر. قال:

وما الدهر أهلٌ أن تُؤَملَ عِنــده   حياةٌ وأن يشْتاقَ فيهِ إلى النسل(٦٨)

لقد كانت الأساطير اليونانية القديمة تروي لنا أن (كرونوس) إله الزمان هو ابن للسماء، وهي تصوره يلتهم أبناءه، وهذا يعني استيعاب الزمان لكل الأحداث.(٦٩) وقد صور (بوديلر) ذلك في الأسطورة القديمة، فقال: " وكأن الزمن يلتهم حياتنا، وهو العدو الذي يبدو أنه يسمن على دماء قلوبنا، ويزداد نمواً، فهـو مقامر جشع يربح في كل رمية، فنحن نسحق في كل

لحظة بفكرة الزمان وإحساسه"(٧٠)، وكذلك كان المتنبي يراه، فهو صاحب خبيث؛ لأنّه يخالف الإنسان في كل رغباته، فكأنّه يعرف ما يريده الشاعر، ويحبه، فيعمل عكسه.قال:

وأحسِب أنّي لو هويتُ فِراقَكُم   لَفارقْتُه والدهر أخْبَثُ صاحبٍ(٧١)

وكثيراً ما استخدم المتنبي كلمة الزمن بمعنى الدهر معطياً لها كل ما أعطاه لكلمة الدهر من صفات. قال يصف جموح الزمان موضحاً تأثيره على حياة الشاعر:

جمح الزمان فَما لَذِيذٌ خالِص   مِما يشُوب ولا سرور كامِلُ(٧٢)

إن كلمة (جمح) تشي بالشيء الكثير هنا؛ لأنها تصور الدهر بصورة حصان منفلت هائج لا أحد يقدر على ضبطه أو السيطرة عليه، وبالتالي يأخذ كلّ شيء بطريقه، ويفعل ما يريد دون تعقّل؛ من هنا يبقى الإنسان في حالة خوف وقلق دائمين؛ لأنّه لا يدري متى يصيبه بأرزائه؟ وكيف؟ .

لقد علل العقّاد تشاؤم المتنبي لكونه صاحب رجاء خاب بين الناس على غير انتظار.(٧٣) ولا أعتقد أن هذا التعليل دقيق؛ لأن هذا لم يكن السبب في تشاؤم المتنبي، فهناك أسباب كثيرة أدت إلى فساد علاقته بمن حوله، ومن ثم تشاؤمه: منها مثلا قضية نسبه المشكوك فيه، وما جابهه في طفولته من ذلّ اليتم والفقر، وكذلك علاقته بسيف الدولة الذي أحبه حبا شديداً، وأخاص له أيما إخلاص، ولكن الأخير تخلّى عنه، وربما شعر المتنبي أنه استغلّه كي يمدحه ويخلده بقصائده العظيمة، وبعد ذلك علاقته بكافور الإخشيدي واضطراره لمدحه فضلاً عن كثرة حساده وأعدائه الذين كانوا يحاصرونه في كل مكان يكون فيه، أما السبب الذي أشار إليه العقّاد فقد طفا على السطح في مرحلة متأخرة من حياته بعدما توجه إلى مصر، ورفْض كافور إعطاءه الولاية.

ويرى المتنبي أن الزمان ما انفك يجافي الإنسان ويتعبه، ولعل هذا من باب تعليل نفسه عن قهر الزمان له. قال:

صحِب الناس قَبلَنا ذا الزمانا   وعناهم في شَأنِهِ ما عنانا
وتَولوا بغُصةٍ كُلُّهم مِنْه   وإن سر بعضهم أحيانا
ربما تُحسِن الصنيع لياليه   ولكِن تُكَدر الإحسانا(٧٤)

إن علاقة التضاد بين الإنسان والزمان حالة دائمة، وشاملة لكثير من الناس، وقد أكدها الشاعر من خلال استخدامه لألفاظ التضاد(تولاهم بغصة، سر، تُحسن ، تُكدر...)، فمن عادة الدهر أن يكون خاذلاً لهم، فلا يحقق ما يصبون إليه، وهو إن أعطاهم شيئا سرعان ما يأخذه منه،

أو يكدره عليهم؛ لذا على الإنسان العاقل أن لا يركن إليه في أي شيء. فالدهر كان رمزاً لقوة غريبة مجافية لشعور الإنسان بذاته وحياته.(٧٥)

وقد رأى الشاعر أن أفاضل الناس، وأصحاب الهمم العالية هم أكثر الناس عرضة للزمن يرميهم بنوائبه، في حين أن الإنسان الجاهل غالبا ما يعيش حياته بيسر وسعادة دونما هم أو قلق، ولعلّ هذا صورة من صور الصراع الأبدي بين الحق والباطل، وإشارة من الشاعر إلى تفوقه وتميزه. قال:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمـن   يخلو من الهم أخلاهم من الفطـن(٧٦)

تمثّلت قسوة الدهر أيضاً في التفريق بين الشاعر وأحبابه، فالفراق من المواقف المهمة التي عانى فيها المتنبي انكساراً كبيراً، وقد عبر الشعراء عن معاناة الإنسان الكبيرة والعميقة في ظل الفراق، وعدوه من المصائب العظيمة، وحملوا الدهر مسوؤليته، وقد بكوا إثر فراق أحبابهم الدموع الغزيرة التي كثيراً ما كانت ممزوجة بالدم ألماً وحزناً، وقد عده كثير من الشعراء أحد أشكال الموت؛ لذلك نجد أن طقوس وداع الراحل لا تقل في بعض الأحيان عن وداع الميت من بكاء وحزن وشعور بالخواء، والخوف من المجهول، والجزع، ومحاولة التصبر، والإحساس بالفقد... قال المتنبي في رحيل أحبته:

بقائي شاء لَيس هم ارتِحـــالا   وحسن الصبر زموا لا الجِمـــالا
تَولوا بغْتَةً فَكأن بينـــــــأ   تَهيبِني فَفاجأني اغْتِيـــــــالا
َفكان مسِير عِيسِهم ذَميـــــلاً   وسير الدمعِ إثْرهم انْهمـــــالا
كأن العِيس كانتْ فَوقَ جفْنِـــي   مناخاتٍ فَلَما ثُرن ســـــــالا
بجِسمي من برتْه فَلو أصـارتْ   وِشاحي ثَقْب لُؤْلُؤَةٍ لجـــــــالا
ولَولا أننِي في غَيرِ نَـــــومٍ   لَبِت أظُنني مِني خيـــــالا(٧٧)

يصف المتنبي وقْع حالة الفراق على نفسه وجسده، فيصوره بالمصاب العظيم معبراً عن حالة عاطفية عميقة، فهو موت بالنسبة له؛ لأنّه رحل صبره معهم وبقاءه مما جعله يذرف دمعا غزيرا على إثرهم كان قد عرفه من قبل بوجودهم إلا أن رؤيته لجمالهم المناخة كان يعطيه دفعة من الصبر على عدم رؤيتهم؛ لأنّه كان متيقّناً من وجودهم، أما الآن فقد تحقق من عدم رؤيتهم، فليس من شيء أمامه سوى البكاء على إثرهم، وكأن هذه الجمال أصبحت مناخة فوق جفونه، ولما رحلت تحررت، فكان هذا البكاء الحار الذي أصابه بهزال شديد. وقد رأى المتنبي في موضع آخر أن الموت أسهل عليه من فراق أحبته. قال:

إنّيَ لأجبن من فِراقِ أحِبتِـــي   وتُحِس نَفْسِي بالْحِمامِ فأشْجـــع(٧٨)

وهو لا يخشى الموت إلا لأنّه يفرق بينه وبين من يحب. قال:

وما عِشتُ مِن بعدِ الأحِبةِ سلوةً   ولَكِنني للنائِباتِ حمولُ
وإن رحيلاً واحداً حالَ بينَنا   وفي الموتِ مِن بعدِ الرحيل رحِيلُ(٧٩)

إن تكرار كلمة(رحيل) ثلاث مرات تشي بعمق فاجعته. وبقاؤه بعد أحبته، وصبره على فراقهم ليس من باب السلوة عنهم، ولكنّه حمول للنائبات، صبور على كل خطب موجع كما قال، وإذا كان للفراق المؤقت كلّ هذا التأثير، وسبب له كل هذا الألم، فكيف سيكون الحال مع الفراق الأبدي أي الموت إذ لا دار أبعد من القبر، ولا سبب أقطع من الموت.

ويرى المتنبي أن روعات الفراق صورة من صور الموت، بل هو طريق له؛ فلولاه لما كان للموت سبيل للأرواح. قال:

لولا مفارقةُ الأحبابِ ما وجدتْ   لَها المنايا إلى أرواحِنا سبلا(٨٠)

ودليل ذلك أن الفراق قد يقتل بعض المحبين كما حصل معه ومع جدته حيث قتلهما الفراق في مراحل مختلفة من حياتهما. قال:

بكيتُ عليها خِيفَةً في حياتِها   وذاقَ كِلانا ثُكْلَ صاحِبِهِ قِدما
ولو قَتَلَ الهجر المحبين كُلَّهم   مضى بلَد باقٍ أجدتْ له صرما(٨١)

يشبه الشاعر الهجر بإنسان قاتل يتقصد الأحباب، فيفرق بينهم، ويكون بذا كمن قد عمل القتل فيهم؛ لما يتركه من أثر سلبي عليهم.

استخدم المتنبي كذلك كلمة الأيام ليعني بها الدهر وأعطاها صفاته أيضاً. قال:

ومن عرفَ الأيام معرِفَتي بِها   وبالناسِ روى رمحه غَير راحِمِ(٨٢)

يظهر الشاعر حقده الشديد على الدنيا وأهلها، وذلك من خلال صورته(روى رمحه غير راحم) حيث تشي بغضب شديد من الناس، كما كشفت عن رغبة شديدة بالانتقام منهم بقتلهم جميعاً دونما رحمة أو هوادة، وكأن رمحه بحالة عطش شديد وهو يريد إشباع هذه الحاجة من دماء الناس حقداً عليهم، وكراهية لهم.

كما رمز للدهر أيضاً بالدنيا وأعطاها هي الأخرى صفاته، فجعلها غدارة. قال في مديحه لسيف الدولة موضحاً أنه ليس للدنيا صاحب، ولو كان لها لخلدت سيف الدولة لصفاته العظيمة:

ولَو جاز الخُلُودُ خَلَدتَ فَرداً   ولَكِن لَيس للدنْيا خَلِيلُ(٨٣)

وقال مصوراً العلاقة بينه وبين الدنيا حيث بدت هي الأخرى وحشاً مفترساً:

كيفَ الرجاء مِن الخُطوبِ تَخَلصاً   مِن بعدِ ما أنْشَبن فِي مخالِبَا

أوحدنَنِي ووجدن حزنا واحِـ ـ ـ ـ ـ ـ داً   متَناهِيا فَجعلْنَه لي صاحِبـ ـ ـ ـ ـ ا
ونَصبنَنِي غَرضِ الرماةِ تُصِيبنِـ ـ ـ ـ ي   مِحن أحد مِن السيوفِ مضارِبـ ـ ا
أظْمتْنِي الدنْيا فَلَما جِئْتُهـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ا   مستَسقِيا مطَرتْ علي مصائِبـ ـ ا(٨٤)

إن أكثر حالات الحزن تعقيداً في حياة الإنسان تتأتى حينما يضطر الإنسان إلى تغيير نهج حياته، ويتنازل عن أشياء كانت في الماضي مبدئية بالنسبة له، وبعد ذلك لا يجني من هذا التغيير إلا الألم المضاعف، وهذا ما حدث مع المتنبي بعد رحيله إلى بلاط كافور ومدحه له، فتشبيهه لخطوب الدهر ومصائبه بالسبع المفترس يكشف عن مقدار الألم الذي يستشعره الشاعر من الدنيا إذ تحول كل ما فيها إلى وحش ضروس يشده من خلال أنيابه المغروسة في جسده بحيث لا يستطيع منها فكاكاً، إذ أصبح مرمى سهلاً لكل محنة أو هم، وحينما أتى طالباً الدنيا لم تاتِ له شيئاً مما أراد، بل على العكس من ذلك تضاعفت المصائب عليه، وكأنها مطر منهمر فوق رأسه، وهذه مفارقة عجيبة أن يجعل للمصائب مطراً ينهمر على رأسه.

مع كل الوصف السلبي للدهر ومرادفاته، فإننا لا نعدم وجود حالات أنصف الشاعر فيها الدهر، وقد أوضح ذلك من خلال بعض الصفات الإيجابية له، فهو يشعر بالأسى الناتج عن التفريق بينه وبين أحبابه من خلال إحسانه السابق بالجمع بينهم لو أن الدهر لم يشب إحسانه بالإساءة. قال:

ولولا أيادي الدهرِ في الجمعِ بينَنا   غَفَلْنا فَلَم نَشْعر لَه بِذُنُـ ـ ـ ـ ـ وبِ
وللترك للإحسان خَيرٌ لِمحسـ ـ ن   إذا جعلَ الإحسان غَير ربِيـ ـ بِ(٨٥)

كثيرا ما كان الشاعر يعمد إلى تشخيص الدهر، فمرة يجعل له طريدة، ومرة يجعل له أيادي بيضاء، ومرة يجعله شخصاً مطيعاً... لكنه يوظّف صوره هذه حسب إحساسه والموقف الذي يكون فيه، فصورة الدهر عنده سلبية عندما يكون كارهاً له، وغالباً ما يكون هذا دهره هو، أما دهر ممدوحه، فغالبا ما كانت صورته إيجابية، فزمان الممدوح مختلف عن زمانه هو، وكأن زمان ممدوحه معادل موضوعي للقوة والأمان في حين زمان الشاعر معادل موضوعي للجفاء والقهر والانكسار. قال:

ويا آخِذاً مِن دهرِهِ حق نَفْسِـ ـهِ   ومِثْلُك يعطَى حقه ويهـ ـ ـ ـ ـ ـ اب
لَنا عِنْد هذا الدهرِ حق يلُطّـ ـ ـه   وقَد قَل إعتاب وطالَ عِتـ ـ ـ ـ ـ ـ اب
وقَد تُحدِثُ الأيام عندك شِيمـ ـة   وتَنْعمِر الأوقاتُ وهِي يبـ ـ ـ ـ اب(٨٦)

إن هذه الأبيات تفيد بأن الشاعر كان يعي ما يقوله فيما يخص الدهر أو الزمن، فهو حينما يكون دهره أو زمانه يجعله أقوى منه، والمنتصر عليه رغم كل محاولات الشاعر تحديه

ومحاربته، أما حين يكون الدهر دهر ممدوحه، فإنّه يجعله ليناً مطواعاً له؛ لأن الممدوح قادر على الانتصار عليه، وهذا أفضل له، وأكثر مبالغة بمدحه، وأكثر فائدة للمادح في حصوله على ما يريد منه؛ لذا جاءه ليحقق عنده ما فشل في تحقيقه بدونه؛ من هنا كان لا بد لهذا الممدوح أن يكون لديه قوة تنافس الدهر في قوته، بل تتغلب عليه، ولعلّ هذا يؤكد أن استعمال الكلمات الدالة على الزمن في الاستعمال الأدبي شعراً أو نثراً كانت غالباً ذات دلالة فلسفية مقصودة.(٨٧)

الشيب أيضا علامة من علامات الزمن، وتحول من تحولاته القاسية أرق وجوده الإنسان خاصة الشعراء لارتباطه بالضعف والانكسار وكبر السن، ومن ثم الموت، وكذلك فعل بالمتنبي الذي قال فيه:

راعتْك رائعةُ البياضِ بِعارِضِـــي   ولو انها الأُولى لَراع الأسحـــم
لو كان يمكنُني سفرتُ عن الصبـــا   فالشيب من قَبل الأوان تَلـــثّم
ولَقَد رأيتُ الحادِثاتِ فَـــــلا أرى   يقَقاً يميت ولا سواداً يعصـِــم
والهم يخْتَرِم الجسِيم نَحافَــــــةً   ويشِيب ناصِيةَ الصبِي ويـــهرِم
ذُو العقْل يشْقى في النعِيمِ بِعقلـــه   وأخُو الجهالةِ في الشقاوةِ ينْعم(٨٨)

رغم ما يبثّه الشيب في نفس الشاعر أو غيره من خوف شديد، لارتباطه بالضعف والهرم، ومن ثم الموت، فإن الشاعر هنا يقف موقف المدافع عن ظهور الشيب في رأسه بقوله: إن الخوف من الشيب عادة تعودها الناس، ولو كان العكس أي أن الشعر الأسود ظهر مكان الأبيض لفعلوا الشيء نفسه، ويربط هذا بخوفهم من الموت؛ لكن الموت لا يكون بالضرورة من نصيب من غزا الشيب مفرقه؛ لأنّه قد يسلب الشاب ذا الشعر الأسود حياته، ويبقي على ذي الشيب الهرم، هذا كلام حكيم فعلاً إلا أنه يبدو لي موقفاً دفاعياً، والموقف الدفاعي الثاني الذي اتخذه الشاعر من الشيب هو تعليله لظهور الشيب المبكّر في رأسه، فكان بسبب ما لاقاه من هموم مصوراً الهم بأنّه سهم إذا ما دخل جسد الإنسان يضعفه ويهزله مهما كان بديناً؛ لأن صاحب العقل يشقى باستخدامه، والجاهل ينعم بجهله. إن هذا الموقف الدفاعي الذي اتخذه الشاعر يمكن أن يفسر في باب القلق من الشيب والخوف منه، وكذلك قلقه من ملاحظة الآخر له خاصة المرأة؛ لذا رآه المتنبي رغم لونه الأبيض أشد سواداً من الظلمات. قال:

ضيفٌ ألم برأْسِي غَير محتشِــــمِ   والسيفُ أحسن فِعلاً مِنْه باللمـمِ
ابعد بعِدتَ بياضاً لا بياض لَــــه   لأنْتَ أسود في عينِي مِن الظلَـمِ
بِحب قاتِلَتي والشيبِ تَغْذيتـِــــي   هواي طِفلاً وشَيبي بالغَ الحلمِ(٨٩)

إن فعل السيف في الرأس موت، وهذا يعني أن الشيب بالنسبة للشاعر هو الآخر موت؛ لما فيه من عجز وضعف تأبى نفس مثل نفس المتنبي الأبية أن ترضى بهما، إذ هو إنذار بكل مظاهر الحياة الضعيفة البائسة التي عاش المتنبي رافضاً لها؛ لذلك يدعو عليه بالهلاك والبوار، فلقد كان نصيبه من الدنيا فراق صاحبته، وهذا الضيف الثقيل، فكانت حياته قهراً وموتاً دائمين، ولعلّ التضاد هنا في (الأسود والأبيض، وطفلاً وبالغ الحلم) يعكس حالة من التوتر والصراع في نفس الشاعر، فهذا الشيب أبيض اللون، والأبيض يعكس الجمال، وكل معاني الحب والنقاء والإشراق في واقع الإنسان لكنه هنا ليس له من ميزة سوى لونه وما عدا ذلك، فهو سواد شديد الظلمة يشي بسواد الموت، وظلمة القبر للعلاقة الكبيرة بين الموت والشيب الذي ارتبط بتقدم السن والعجز والهرم، وبالتالي الموت. والمفارقة الكبيرة في الأبيات السابقة أن يكون شيبه متقدماً في السن في حين أن حبه ما زال طفلاً، أي أن قلبه ما زال شاباً، وبالتالي يعيش حالة الحب كما لو كان شاباً في مقتبل العمر، ولكنّه في نواحي حياته الأخرى يعيش حالة من التعقّل والرزانة والحكمة التي تضعه في مصاف الرجال الحكماء، وكلّ هذا يتناسب مع شخصية المتنبي، فالمفارقة تصور الصراع بين الحياة والموت، فهو من جهة عاشق ما زال في بداية الطريق في عشقه، ومن حيث الشيب متقدم في السن، وتأكيد وجود حالة الحب هذه محاولة للدفاع عن شبابه، وبالتالي عن حياته من خلال وجود المرأة فيها.

والشيب كالعمى في العين. قال:

وما ماضِي الشبابِ بمسـ ـ ـ ـ ـترد   ولا يوم يمر بِمستَعـ ـ ـ ـ ـ ـ ـادِ
متى لَحظَتْ بياض الشيبِ عيـ ـ ـن   فقَد وجدتْه مِنْها في السـ ـ ـوادِ
متى ما ازددتُ مِن بعدِ التّناهـ ـ ـي   فقَد وقَع انْتِقاصِي في ازدِيادِي(٩٠)

يلاحظ اعتماد الشاعر على أسلوب التضاد بشكل واضح؛ لأنّه تنافر يعكس حالة من حالات الصراع (فالبياض والسواد، والانتقاص والازدياد) كلها تؤكد أن الشيب رمز انتقاص في عمر الإنسان سواء في أيام عمره الحقيقية، أو فيما يناله من مسرات الحياة؛ لذا هو كالعمى في لونه وفي نتائجه؛ لأن اللون الأبيض إذا أصاب العين أصيبت بالعمى، ومن نتائجه السلب في كل نواحي حياة الإنسان.

إن البكاء على الشباب أو التضجر من الشيب شكل طللي آخر(٩١)، وبالتالي هو سبب من أسباب الانكسار في حياة الشاعر حيث الشباب رمز للحياة، والشيب رمز للموت.

كان الليل الطويل أيضا من المواقف الزمانية التي عانى منها الشاعر حيث أن الزمن في التجـربة الإنسانيـة لا يخضع لقياس ثابت، وهو قبل هذا ليس شيئاً، أو(موضوعاً) قائمـاً خارج

الذات، فهـو ليس حقيقة خارجية، وإنما هو حقيقة نفسية مرنة.(٩٢) فمن أنواع الزمن: الزمن الفني أو النفسي الذي يخضع لتجربة الإنسان في حياته، فقد يراه قصيراً أو طويلاً، وقد يراه إيجابياً أو سلبياً، وذلك حسب تقديره الداخلي، أو حسبما تراه بصيرته. وفيه يتبلور موقف الذات مـن الزمن، ووعيها به من خلال إحساسها بالأمـن أو الخوف أو الضيق أو الراحة، وهذا الزمن خاضع لحركة النفس في مجرى الأحداث؛ أي يشير إلى الطريقة التي يدرك فيها الفرد حسياً وشعورياً جريان الوقت في كينونتـه، ولهـذا فالزمن كان ظلاً يلون جميع الأغراض الشعـرية.(٩٣)

لقد عبر الشاعر عن زمنه من خلال طول ليله في محاولة منه ليصف لنا شدة المعاناة التي يعانيها من زمانه القاسي الصعب. قال:

أعزمي طال هذَا الليلُ فانْظُـر   أمِنْك الصبح يفْرقُ أن يئُوبـا
كأن الفَجر حِب مسـتَزار   يراعِي مِن دجنتِه رقِيبـا
كأن نُجومه حلْي علَيـهِ   وقَد حذيتْ قَوائِمه الجبوبـا
كأن الجو قاسى ما أُقاسـي   فَصار سواده فِيهِ شُحوبـا
كأن دجاه يجذِبها سهـادِى   فَلَيس تَغِيب إلا أن يغِيبـا
أُقلب فِيهِ أجفانِي كأنّـي   أعد بِهِ على الدهرِ الذنُوبـا
وما لَيلٌ بأطْول مِن نَهـارٍ   يظَل بِلَحظِ حسادِي مشُوبـا(٩٤)

لما كان لكلّ منّا زمنه الخاص المختلف عن زمن الآخرين، فهو ليس خاضعاً للقياس؛ لأنّه كي يكون كذلك يجب أن ينساب بانتظام، وهو لا يفعل ذلك؛ لذا بدا المتنبي حائراً: بأي شيء يشبه طول ليله؟ لذا نراه يكرر أداة التشبيه(كأن) عدة مرات، فمرة يصفه بصبح خائف مما عزم عليه الشاعر، فخشي أن يظهر، أو كأنّه حبيب تأخرت زيارته من خوف الرقيب، وقد استخدم هنا كلمة (دجنة) التي توحي بشدة السواد، وهي من أقبح أنواعه، أو أن هذا الليل محلّى بالنجوم ومنتعل الأرض، فلا يقدر على المشي من ثقل ما يحمل، كل ذلك نتيجة لطوله الشديد، وتثاقله في الانتهاء، وهذا يعكس عمق إحساس الشاعر بطول الليل، وهو في لونه الشاحب مثل لون العاشقين، ولعلّ كلمة (شاحب) تشي بكثير مما يضمره الشاعر إذ هي غالباً ما تصاحب المرض والحزن، بل كافّة أشكال المعاناة من السهاد الذي أصبح ملازماً لليله، ولعلّ هذه المعاناة تبرزها عبارته: (أقاسي ما أقاسي)، ويبدو قلقه وحيرته ومعاناته في قوله (أقلب فيه أجفاني، أعد ذنوب الدهر)، ولعلها لا تعد ولا تحصى كما أشار المتنبي في مواضع كثيرة من ديوانه، منها كثرة الحساد في حياته الذين كانوا يحاصرونه في حياته حتى أنه تمنى الموت خلاصاً منهم.(٩٥)

وقد وصف المتنبي النوم بالنفور كناية عن مجافاته لعينيه في رثائه لأبي شجاع:

النوم بعد أبي شُجاعٍ نافِــــــر   والليلُ معيٍ والكواكِب ظُلَّـــع(٩٦)

إن كلمة نافر توحي بالشيء الكثير؛ لأنّها تشير إلى الرفض، وكأن النوم رفض موت أبي شجاع فعبر عنه بعدم الاستجابة، ومن مظاهر هذا الرفض أيضاً طول الليل الذي أعيا الشاعر، وهذه الكواكب التي لا تقدر على قطع الفلك فتغرب.

وقد جعل أرق الليل عاشقا لمقلته كناية عن ملازمته له. قال:

كأن سهاد الليل يعشَقُ مقْلَتِــــــي   فبينَهما في كلّ هجرٍ لنا وصـــلُ(٩٧)

لقد تحول السهاد في الصورة الشعرية إلى إنسان عاشق لعيني الشاعر، ولما كان العاشق يحب ملازمة معشوقه، فقد لازم عيني الشاعر، فكان عذاباً وقتلاً له.

وكذلك ليل العاشقين هو الآخر طويل. قال:

لَيالي بعد الظاعِنين شُكُـــــــولٌ   طِوالٌ ولَيلُ العاشِقِين طَويــــلُ
يبِن لي البدر الذي لا أُريـــــــده   ويخْفِين بدراً ما إليهِ سبيــــلُ(٩٨)

إن كلمة شكول تكشف عن مقدار الملل والضيق الذي يعانيه الشاعر إثر فراق المحبوبة، فحينما تتشابه أيام الإنسان ولياليه تصبح جامدة لا حياة فيها، بل هي انكسار وموت؛ لأنها تخلو من كل مباهج الحياة، وينعكس هذا على ليل الشاعر الذي أصبح طويلاً يراعي فيه النجوم، فيرى البدر فيه، في حين أن بدر حياته أصبح مفارقاً بعيداً لا سبيل للوصول إليه، ولا يخفى الجناس التام بين بدر الأولى وبدر الثانية الذي وظّفه الشاعر لإبراز المعنى بصورة جلية، ولعلّ إتيان الشاعر هنا بليل العاشقين لم يكن عبثاً؛ لأن الشعور بالزمن يبلغ أقصى درجة من السعة في ساعات الحب، والشعور بالزمان هو شعور بالفناء؛ لأنه علّة كلّ فناء، وعلى هذا، فإن الشعور بالموت يبلغ أقصاه في الحب، ومن هنا ارتبط الموت برباط الحب أوثق ارتباط.(٩٩)

وقال في ليل العاشق أيضا:

بِئْسَ الليالي سهرتُ مِن طَرَبــــي   شَوقا إلى من يبِيتُ يرقُدهــــا
أحييتُها والدموع تُنْجِدنـــــــي   شُؤونُها والظلام ينْجِدهــــا(١٠٠)

إن في قوله: (أحييتها) تأكيداً على أن النوم موت، وقالوا: فلان يحيى الليل دليل آخر على أن الليل موت وإحياؤه يكون بالسهر.

وقال في ليل الخائف:

مبِيتي مِن دِمشْقَ على فِــــراش   حشاه لي بِحر حشاي حـــاش
لَقَى لَيل كعين الظبي لونـــــا   وهم كالحميا في المشـــاش(١٠١)

لقد قيل في النوم أيضا إنّه أخو الموت، واليقظة أخت الحياة(١٠٢)، فالموت ظلمة واسوداد كما هو الليل، وفي ليل المؤرق انكسار وحزن وبكاء، وشعور بالخواء، وشدة المعاناة، من هنا جاء الشبه بين الموت والليل، وقد تعامل الشاعر في كثير من الأحيان مع الليل من هذه الزاوية خاصة في حديثه عن ليل العاشق، وليل الخائف.

أما الموت، فهو من أهم المواقف التي عانى فيه المتنبي من الانكسار والضعف، فهو أحد أهم تحولات الزمن، وأقواها وأشدها، بل هو نهاية الزمن؛ لذا ربما كانت مشكلة الموت من أهم المشاكل الوجودية، بل أهمها على الإطلاق، وقد تمثّلت هذه المعاناة من خلال مظاهر كثيرة من أهمها مواجهة لحظة الموت ذاتها، والمشكلة كانت دائماً في موت الآخر من الأحبة؛ لأن الإنسان لا يعي مشكلة موته هو، وإن كان يعيش في تخوف منها وقلق دائمين.

لقد وقف المتنبي في مواجهة الموت في كثير من مواقف الحياة سواء كانت تعني الموت مباشرة، أو أنها تشير إليه من قريب أو بعيد، أو هي سبب فيه، أو رمز من رموزه. قال المتنبي في وصف واقعة الموت في رثاء جدته:

ألا لا أُرى الأحداثَ حمداً ولا ذَماً   فَما بطْشُها جهلاً ولا كَفها حِلمـ ـ ـا
إلى مِثْل ما كان الفَتى مرجع الفتى   يعود كما أبدى ويكْرى كما أرمـ ـي
لكِ اللهُ مِن مفْجوعةٍ بحبِيبـ ـ ـها   قَتيلَةِ شَوقٍ غَير ملْحِقها وصمـ ـ ـا
أحِن إلى الكأسِ التي شَربتْ بِهـ ـا   وأهوى لَمثواها التراب وما ضما(١٠٣)

يبرز إيمان الشاعر هنا بالموت أكثر منه في أي مجال آخر، ويبدو منصفاً للدهر حيث لا يحمله مسؤولية ما حدث له مع أنه نادراً ما كان يفعل ذلك، فقد أقر أن الموت أمر مقدر، ولا بد من حدوثه، فكل أمر لا بد أن يعود إلى حالته الأولى، وكذلك الإنسان لا بد أن يشيخ ويهرم، ومن ثم يموت، ولعلّ كلّ هذه المقدمة كانت محاولة للتعزي عن موت جدته، محاولاً إقناع نفسه بضرورة تقبل الحدث، وبعد ذلك انطلق للتحدث عن حادثة الموت نفسها، فتحدث عن سبب موت جدته الذي كان من باب الشوق إليه، ورأى أن خوفهما الدائم من الفراق قد تحقق هذه المرة، فالفراق برأيه ثكل وموت، وفي الأبيات مفارقة كبيرة حيث إن جدته ماتت من شدة سرورها بخبر عودته، والأصل أن يكون هذا الفرح سبباً للحياة، وتبلغ شدة أساه في تمني الموت والحنين إليه، وهذه مفارقة أخرى؛ لأن الإنسان عادة يشعر بالحنين إلى شيء يحبه، وإذا ما تمنى، فإنه يتمنى شيئاً محبباً إلى نفسه، ولعل الذي دعا الشاعر إلى هذه الأمنية شدة يأسه من الدنيا وأهلها، وحزنه على جدته حيث كانت تمثّل له الجانب المضيء في العلاقة الإنسانية المبنية على الحب الخالص الذي لا يشوبه كذب ولا نفاق ولا زيف، وهو ما كان يفتقده في حياته.

الدموع من أكثر مظاهر الحزن التي تبدو في مناسبة الموت، وأول رد فعل يمكن أن يصدر عن الإنسان المفجوع بعزيز، قال في رثاء خولة أخت سيف الدولة:

لاَ يملِكُ الطرِب المحزون منْطِقَه ودمعه وهما فِي قَبضةِ الطرب
غَدرتَ يا موتُ كم أفنَيتَ مِن عددٍ بِمن أصبتَ وكم أسكَت مِن لَجبِ
وكم صحِبتَ أخاها فِي منازلَة وكم سألْتَ فلم يبخَلْ ولْم نَخبِ
طَوى الجزيرةَ حتى جاءنِي خَبر فَزعتُ فيهِ بآمالي إلى الكَذِبِ
حتى إذَا لَم يدع لي صِدقُه أملاً شَرِقْتُ بالدمعِ حتى كاد يشْرقُ بِي
تَعثرتْ بِهِ في الأَفْواهِ ألْسنُها والبرد في الطرقِ والأقلام في الكُتُبِ
ولم تَرد حياةً بعد تَوليَةٍ ولم تُغِثْ داعِياً بالويل والحرب
أرى العِراقَ طويلَ الليل مذ نُعيتْ فكيفَ لَيلُ فَتى الفِتيان في حلَبِ
يظُن أن فُؤَادِي غير ملْتَهبٍ وأن دمع جفُونِي غير منْسكِبِ(١٠٤)

إن الغدر من سمات الموت - كما يرى الشاعر- لأنّه يفزع الناس، ويأخذ منهم أحبابهم، فلا يجدون أمامهم سوى البكاء الشديد، فيشرقون بالدمع، ويغتمون بالحزن لشدة وقع خبر الموت عليهم، وقد صور حالة الإنسان في حالة الحزن كأنه في قبضة صارمة لا يستطيع الإفلات منها، فهي استعارة توحي بقوة الحزن وشدة تأثيره على الإنسان، وعادة ما يرفض الإنسان تصديق خبر الموت لأول وهلة؛ لأنّه يتعلل بالرجاء والأمل حتى في لحظة مواجهة الموت.إنّه وصف صادق وواقعي لتجربة الإنسان مع حدث الموت، ولعلّ مجابهته إياه بتكذيب الخبر، ومن ثم انكساره أمامه يؤكد ذلك، وقد جعل الشاعر للحزن(قبضة) إشارة إلى تضاؤل الإنسان في ظل الموت، فكأن القدر يضعه في قبضته، ويتحكّم به كما يريد.

إن إحساس الإنسان بتتبع الموت له في كل مكان يكون فيه، يجعله يعيش في ظل خوف دائم، ومع اقتناع الإنسان بأن الموت حقّ، فهو ما زال يرفضه، وعنصر المفاجأة يسيطر على حادثته، وإزاء هذه الحال لا يوجد أمام الشاعر سوى القبول بالأمر الواقع إذ لا يملك الإنسان أمام سطوة الموت سوى الصبر والتعزي بمن مات من قبل.

والموت ماضٍ في الناس يحصد أرواحهم دونما هوادة، فهو لا يرتوي ولا يشبع، وحالة الموت هذه أشد قرباً من حال سيف الدولة لكن باتجاه إيجابي. قال في مدحه لسيف الدولة:

قاد المقانِب أقْصى شُربِها نَهلٌ على الشكِيمِ وأدنَى سيرِها سِرع
لا يعتَقِي بلَد مسراه عن بلَدٍ كالموتِ لَيس لَه ري ولا شِبع(١٠٥)

وقد حاول الشاعر تبرير خوف الإنسان من الموت ونفوره منه راداً ذلك إلى ارتباطه الشديد بالحياة التي رمز إليها بإلف الهواء. قال:

إلْفُ هذَا الهواءِ أوقَع في الأنْفُـــسِ   أن الحمام مر المـَــــــــــذَاقِ
والأسى قَبلَ فُرقَةِ الروحِ عجــــز   والأسى لا يكُون بعد الفِراقِ(١٠٦)

لقد جعل الشاعر للموت طعماً لكن أي طعم؟! فهو مر المذاق لما يلاقيه الإنسان من مرارة العيش والحزن والفزع من فقد أحبابه؛ من هنا كانت النفس تعافه وتكرهه. ولكن فلسفة المتنبي وحكمته لا تلبثا أن تتدخلا في موقفه من الموت، فيقرر أن الموت ضروري حتى تستمر الحياة. قال:

سبِقْنا إلى الدنْيا فلَو عاشَ أهلُهـــا   منِعنا بِها مِن جيئَةٍ وذُهـوبِ(١٠٧)

ولما كان الموت متحققا لا محالة، فعلى الإنسان أن يواجهه بكل شجاعة واقتدار كما في قوله:

وإذا لم يكن من المـــــوتِ بد   فمن العجز أن تكون جبانــا(١٠٨)

وقال:

فَطَعم الموتِ في أمرٍ حقيـــــر   كطَعمِ الموتِ في أمرٍ عظِيـمِ(١٠٩)

مع كل ما رأيناه من موقف سلبي من الموت عند المتنبي إلا أنه يفرق بين نوعين منه: موت الجبان، والموت الذي يكون في سبيل المعالي والحياة الفضلى، فكلاهما من حيث التجربة واحد، ولكن الثاني هو ما يتناسب مع إنسانية الإنسان الحق؛ لذا يرى الشاعر الحكيم أن على الإنسان أن يواجهه بكل شجاعة ورضى.

لقد كان شعر الحكمة المتعلّق بالموت والحياة عند المتنبي مزيجاً من النظرة الواقعية والنظرة الفلسفية، فقد كانت فلسفته ترصد هذا الواقع، وترسم له إطاراً يلائم الظلال والألوان في الصورة بحيث لا تخرج عن ألوان الإطار العام لها.(١١٠)

كانت مظاهر الانكسار في حياة الشاعر كثيرة وكبيرة، والموت كان يحدق به من كل جانب وهو يصارعه بكل ما ملكت يداه من قوة، فكانت حياته نضالاً دائماً ضد كل مظاهر الضعف والانكسار.

خاتمة

لقد عانى المتنبي من مظاهر الانكسار في مواقف كثيرة من حياته في ظل المكان، أو في علاقته بأخيه الإنسان، أو الزمان، منها الموقف الطللي الذي كان علامة بارزة من علامات الانكسار والموت الذي توقّف الشاعر عندها، وبين ما فيها من تطامن الإنسان إزاء قسوة الزمن،

وكذلك السجن الذي عانى المتنبي من خلاله كل ألوان الضعف والانكسار، وفي فشل علاقته مع سيف الدولة الذي رأى فيه الأمن والأمان، وفي كثرة الأعداء والخصوم مما جعله يعاني من غربة مكانية وغربة نفسية كبيرة حيث فقد القدرة على التواصل مع الآخرين، فكان يرى معظم من حوله إما عدواً، وإما حاسداً يكيد له المكائد لإيذائه والخلاص منه. أما في ظل الزمن، فقد عانى الشاعر من الانكسار في صراعه مع الدهر، وتسلّطه حيث رآه الشاعر قاتلا ومفرقاً للأحباب، وغزو الشيب لمفرق رأسه، فكان هو الآخر علامة مهمة من علامات الصيرورة، وتفلّت الحياة من يد الإنسان المتمثلة بالمرأة والقوة والشباب، أما فراق الأحبة، فكان هو الآخر انكسار للزمن فيه ثكل وموت، أما الموت فقد بلغ انكسار الشاعر إزاءه مبلغا كبيرا خاصة في مواجهة الموت بكل ما فيه من فزع وحزن ودموع.

الهوامش

---

[١] - من الذين قالوا في تفسير المقدمة الطللية: ابن قتيبة فقد رأى أن الشاعر الجاهلي لجأ إلى الظاهرة الطللية ليجعل منها سبباً لذكر رحيل أهل الديار من مكان إلى آخر انتجاعاً للكلأ والمرعى، وإن الشاعر إنما أخذ بالنسيب أُسلوباً " ليميل القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه..." انظر كتاب: الشعر والشعراء، بيروت، ١٩٦٤، ص: ٢٠. أما عزالدين إسماعيل، فقد فسرها تفسيراً نفسياً، ورآها انعكاسا لذلك الصراع الأبدي في نفس الإنسان، وفي الحياة من حوله، وبين حب الحياة، وغريزة الموت. انظر: مجلة الشعر، عدد ٢ من السنة الأولى، ١٩٦٤، ص٣٠. أما يوسف خليف فرآها حلاً لمشكلة الفراغ. انظر: مجلة المجلة، عدد ٩٨، ١٦-٢٢، وعدد ١٠٠، ٣٥- والعدد ١٤ ص ٤-١٥، ١٩٦٥. أما حسين عطوان، فقد رآها ضرباً من الذكريات والحنين إلى الماضي.انظر: مقدمه القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠، ص ١٧١ وما بعدها. ورآها فالتر براونه المستشرق الألماني اختباراً للقضاء والفناء والتناهي، فهي الشاهد على قلق الإنسان في علاقته مع الوجود، انظر مقالته: الوجودية في الجاهلية، مجلة المعرفة السورية، السنة الثانية، عدد٤، حزيران، ١٩٦٣.

[٢] - ناصف،(مصطفى ناصف)، دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت . ص: ٢٣٦.

[٣] - المتنبي،(أبو الطيب المتنبي) ، ديوانه، شرح أبي البقاء العكبري، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت، ج٢. ص: ٢٩٤.العين الشكرى: الممتلئة بالدمع.

[٤] - المصدر السابق، ج٢، ص: ٢٣٨.

---

[٥] - نفسه، ج٣،ص: ١٩١.

[٦] - هناك شعر غزلي خارج المقدمة الطللية قيل إنه في خوله أخت سيف الدولة حيث ينسبون له قصة حب معها.انظر تفاصيل ذلك في كتاب المتنبي: شاكر،(محمود محمد شاكر)، مطبعة المدنين، جدة، ١٩٨٧ ص:٣٣٦ وما بعدها.

[٧] -إسماعيل،(عز الدين إسماعيل)،روح العصر، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٨.ص: ١٩.

[٨] - شحادة،(عبد العزيز شحادة)، الزمن في الشعر الجاهلي، مؤسسة حمادة، الأردن، ١٩٩٥.ص: ١٠٩.

[٩] - ديوانه، ج٣، ص: ٣٢٨.الريض: الصعب من الخيل. الحازم: الذي يسوس الخيل.

[١٠] - لقد كان لموضوع نسب المتنبي دور كبير في شعوره بالانكسار سواء بطريقة مباشرة حينما كان يواجه بالسؤال عن والده ونسبه صراحة، أو بالتلميح، أو الغمز مما طبع علاقته مع كثير ممن حوله بالضيق والغضب، وبصورة غير مباشرة حيث يمكن أن نفسر كثيرا من صفات المتنبي الخُلُقية السلبية من اضطراب وتطرف وضجر وسوء العلاقة مع الآخر، أو حتى الإيجابية منها مثل الطموح الشديد للوصول إلى المكانة الاجتماعية العالية، والمبالغة بالفخر الذي وصل في بعض الأحيان إلى حد الإسراف والتعالي إلى إحساسه بوجود مشكلة ما في موضوع نسبه حيث أشار بعض الدارسين إلى أنه ربما كان ابنا لزواج غير شرعي، أو كان ابنا لأحد أعلام الشيعة مما اضطره إلى إخفاء أبوته له خوفا على حياته، أو أنه كان من نسب وضيع على رأي بعض الدارسين الآخرين؛ لأنه كان ابنا لسقّاء. لقد كثرت الدراسات التي عالجت موضوع نسب المتنبي مما أغنى عن إعادة الحديث فيه في بحثي رغم أهمية الموضوع في تفسير انكساره أو في تفسير جوانب أخرى من حياته. انظر على سبيل المثال كتاب السمعاني، (أبو سعيد عبد الكريم السمعاني)، الأنساب، مطبعة حيدر أباد، ١٩٨١. ج١٢، ص: ٧٩. وكتاب حسين، (طه حسين)، مع المتنبي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٣. وكتاب: المتنبي -مرجع سابق- ص:١٣٧ وما بعدها. وكذلك كتاب الملاح،(عبد الغني الملاح)،المتنبي يسترد أباه. وكتاب: الإمراني، (حسن الإمراني)، المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤.

[١١] - ديوانه، ج٤، ص:٦. الشرة: الحدة والنشاط. العرام شراسة الخلق. القباب : الهوادج.

[١٢] - الحاوي،(إيليا الحاوي)،النابغة الذبياني: سياسته وفنه ونفسيته، ص:٢٣٢.

[١٣] - الزمن في الشعر الجاهلي. ص: ٧٩- ٨٠.

[١٤] - ديوانه، ج٤، ص: ١١٠.

[١٥] - المصدر السابق، ج٣،ص: ٢٩٩. أثاث : صر ثلاثتنا، ترزم: تحن.

[١٦] - نفسه، ج٢، ص:٢٤٩. ملثّ: المقيم، المتديرين: المتخذيها داراً.

---

[١٧] - التنيسي،(أبو محمد بن وكيع)، المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره، تقديم : محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨١ ج١، ص:٣٦١.

[١٨]- المرزوقي،(أبو علي أحمد المرزوقي) شرح ديوان حماسة أبي تمام، نشر: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١. ص: ١٠٥٥.

[١٩] - ديوانه، ج٣، ص: ٢٦٤.

[٢٠] - انظر مقالة: " الوجودية في الجاهلية"، براونه، (فالتر براونة)، مجلة المعرفة السورية، العدد٤، سنة ١٩٦٣.

[٢١] - ديوانه، ج٢، ص: ١٨٥. المسي: المساء.

[٢٢] - المصدر السابق، ج١، ص: ١١٠.

[٢٣] - الثعالبي، (أبو عبد الله منصور الثعالبي)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ج١، ص: ٢٣٩. وانظر كذلك: أبو ناجي،(محمد حسين أبو ناجي)، الحرب في شعر المتنبي، دار الشروق، جدة ، ١٩٨٠. مج٢، ص: ٢٣٢.

[٢٤]- الأنطاكي، (داود عمر الأنطاكي)، تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، المطبعة الأزهرية المصرية، القاهرة، ط٣، ١٣٢٨هـ. ج٢، ص ٥٠ .

[٢٥] - ديوانه، ج٣، ص: ٢٤٩.التابعة: الصغيرة من الظباء التي تتبع أمها. الخاذل: المتأخر.

[٢٦]- الجندي ،(درويش الجندي) ، الرمزية في الأدب العربية، مكتبة نهضة مصر، مصر، ١٩٥٨، ص: ٢٨٧.

[٢٧] - الزير،(محمد حسن الزير)، الحياة والموت في الشعر الأموي، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٩. ص: ٣٩١.

[٢٨] - ديوانه، ج١، ص: ٣٤٥.

[٢٩] - المصدر السابق، ج٢، ص: ٢٨٠.

[٣٠] - نفسه، ج٤، ص: ١٤٥.

[٣١] - نفسه، ج٤، ص: ١٤٨.

[٣٢] - نفسه، ج٤، ص:١٤٧.

[٣٣] - انظر تفاصيل ذلك في: ابن خلكان،(أبو العباس شمس الدين ابن خلكان)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، ١٩٦٨، مج١، ص: ١٢٣.

[٣٤] - المتنبي ، ص:٣٥٧.

[٣٥] -بلاشير،(ريجيس بلاشير)، أبو الطيب المتنبي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥. ص:٢٣٦.

---

[٣٦] - ديوانه، ج٢، ص: ٩٤. وانظر كذلك ج٢، ص: ٩٨.

[٣٧] - المصدر السابق، ج١، ص: ٢٨٩.

[٣٨] -نفسه، ج٣، ص: ١١٨.

[٣٩] - نفسه، ج٣، ص:٣٦٢.

[٤٠] - نفسه، ج٣، ص: ١٣٤.

[٤١] - نفسه، ج٣، ص:٢٣٣ وما بعدها.

[٤٢] - نفسه، ج١، ص: ١٤٠.

[٤٣] - نفسه، ج٣، ص:١٠٩.

[٤٤] - انظر: بك، (محمد خير بك)، أبو الطيب المتنبي، حياته وخلقه وشعره وأسلوبه، مكتبة سعد الدين، دمشق، ١٩٨٦. ص: ١٤٨.

[٤٥] - ديوانه، ج٣، ص: ٣٢٧.

[٤٦] - انظر اليتيمة، ص: ١٤٩.

[٤٧] - انظر نصير، (أمل نصير)، المفارقة في كافوريات المتنبي، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، ١٩٩٧ .

[٤٨] - ديوانه، ج٢، ص: ٣٠٣.

[٤٩] - المصدر السابق، ج٣، ص: ٢٨٧.

[٥٠] - نفسه، ج٤، ص: ٥٩.

[٥١] - نفسه، ج٢، ص: ٣٧٤.

[٥٢] - نفسه، ج٣، ص: ٣٧٣.

[٥٣] -نفسه، ج١، ص: ٣٧٦. الطية: المكان الذي تطوى إليه الرواحل. المجلحة: الذئاب المصممة الماضية.

[٥٤] - نفسه، ج١، ص: ١٧٠.

[٥٥] - نفسه، ج٢، ص:٦١. وانظر كذلك ج٤، ص: ٤١.

[٥٦] - نفسه، ج٢، ص: ٣٩.

[٥٧] - نفسه، ج ٣، ص: ٢٩٠.

[٥٨] - انظر ديوانه، ج٤، ص:١٠٢.

[٥٩] - المصدر السابق، ج٤، ص: ٢٨١.

[٦٠] - نفسه، ج٢ ، ص:٤٥-٤٦.

[٦١] - ابن سيده: هو ابن أبي بكر بن طغج، مات والده وهو صغير، فتقيد الأسود بخدمته، وخدمة والدته، فقرب من شاء وبعد من شاء، فنظر الناس إليه من صغر هممهم، وخسة أنفسهم فتسابقوا إلى التقرب

إلـيه.ثـم ملك الأسود الأمر على ابن سيده. انظر: البديعي، (يوسف البديعي)، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زياده عبده ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٣. ص:١١١.

[٦٢] - انظر لسان العرب، مادة دهر،ج٤، ص:٢٩٢.

[٦٣]- الصديقي،(عبد اللطيف الصديقي)، الزمن أبعاده وبنيته، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥. ص:١٨.

[٦٤] - ديوانه، ج١، ص: ١٠٦.

[٦٥] -المصدر السابق،ج٣، ص:٩.

[٦٦] - نفسه، ج٢، ص:٤٠.

[٦٧] - نفسه،ج٤، ص: ١٤٧.

[٦٨] - نفسه،ج٣، ص: ٥٢.

[٦٩]- محمد، (علي عبد المعطي محمد)، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٣. ص:١٣٣.

[٧٠]- مايرهوف، (هانز مايرهوف)، الزمن في الأدب، ترجمة أسعد رزوق، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٢.. ص: ٨١.

[٧١] - ديوانه،ج١، ص: ١٤٨.

[٧٢] - المصدر السابق، ج٣، ص: ٢٥٤.

[٧٣] - العقاد وآخرون، (عباس محمود العقاد)، أبو الطيب المتنبي، حياته وشعره، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت. من مقالة له بعنوان: شخصية المتنبي في شعره، ص:٦.

[٧٤] - ديوانه، ج٤، ص: ٢٣٩.

[٧٥] - ناصـف، (مصطفى ناصف)، دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت. ص: ١٠٨.

[٧٦] - ديوانه، ج٤، ص: ٢٠٩.

[٧٧] - المصدر السابق،ج٣، ص: ٢٢١.

[٧٨] - نفسه،ج٢، ٢٦٩.

[٧٩] - نفسه،ج٣، ص: ٩٥.

[٨٠] - نفسه، ج٣، ص: ١٦٣.

[٨١] - نفسه، ج٤، ص: ١٠٣.

[٨٢] - نفسه، ج٤، ص:١١٢.

[٨٣] - نفسه، ج٣، ص: ٧.

---

[٨٤] - نفسه، ج١،ص: ١٢٤.

[٨٥] - نفسه، ج١، ص: ٥٢.

[٨٦] - نفسه، ج١، ص: ١٩٧. يلطّه: يجحده ويمطله.

[٨٧] - الألوسـي،(حسـام الألوسي)، الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠. ص: ٨٩.

[٨٨] - ديوانـه، ج٤، ص: ١٢٣. رائعـة البـياض: أول شعرة تطلع من الشيب. الجسيم: صاحب الجسم العظيم.

[٨٩] - المصدر السابق، ج٤، ص:٣٤.

[٩٠] - نفسه، ج١، ص: ٣٥٦.

[٩١] - الزمن في الشعر الجاهلي، ص:١١٩.

[٩٢]- إسماعيل، (عزالدين إسماعيل)، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر. ص:٢٣٩.

[٩٣]- الصـايغ، (عـبد الإله الصايغ)، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٣..ص: ٢٦٦ .

[٩٤] - ديوانه، ج١، ص: ١٣٩. حديت: صارت نعلاً له. الجبوب: وجه الأرض، وقيل الأرض الغليظة.

[٩٥] - انظرالمصدر السابق، ج١، ص: ١٤٠.

[٩٦] - نفسه، ج٢، ص: ٢٦٨.

[٩٧] - نفسه، ج٣، ص: ١٨٣.

[٩٨] - نفسه،ج٣، ص: ٩٥.

[٩٩] - بدوي،(عبد الرحمن بدوي)،الموت والعبقرية، دار القلم، بيروت ، د.ت.. ص: ٤٣.

[١٠٠] - ديوانه، ج١،ص: ٢٩٨.

[١٠١] - المصدر السابق، ج٢، ص: ٢٠٧. الحشى: ما بين الأضلاع إلى الورك. الحميا: من أسماء الخمر. المشاش: رؤوس العظام الرخوة.

[١٠٢] - انظر قول الواحدي في شرح ديوان المتنبي، ج١، ص:٣٠١.

[١٠٣] - المصدر السابق، ج٤، ص: ١٠٢.يكرى: ينقص.

[١٠٤] - نفسه،ج١، ص:٨٦.

[١٠٥]- نفسه، ج٢، ص: ٢٢٤. المقانب: ما يقارب الثلاثمائة من الخيل. الشكيم: جمع شكيمة، وهي الحديدة التي تعرض في اللجام. لا يعتقي: أي لا يعوقه.

[١٠٦] - نفسه، ج٢، ص: ٣٦٩.

[١٠٧] - نفسه، ج١، ص: ٥٠.

---

[١٠٨] - نفسه، ج٤، ٢٤١.

[١٠٩] - نفسه،ج٤، ص:١١٩.

[١١٠] - القرعاوي، (حسن القرعاوي)، الحكمة في شعر المتنبي، دار عمار، الأردن، ١٩٨٦. ص:١٦١.

المصادر والمراجع

١) إبراهيم، (زكريا إبراهيم)، مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة والنشر، مصر، دت.

٢) استيتكيفتش،(ياروسلاف استيتكيفتش)، الاسم والنعت: لغة الاصطلاح في تسميات الحيوان ورموزه في الشعر القديم، ترجمة: حسنة عبد السميع، مجلة فصول،مج١٤، العددالثاني، القاهرة، ١٩٩٥.

٣) إسماعيل، (عز الدين إسماعيل)، روح العصر، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٨.

٤) إسماعيل،(عز الدين إسماعيل)، النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي، مجلة الشعر المصرية، عدد٢، ١٩٦٤.

٥) الألوسي،(حسام الألوسي)، الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

٦) الإمراني، (حسن الإمراني)، المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٩٩٤.

٧) الأنطاكي، (داود عمر الأنطاكي)، تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، المطبعة الأزهرية المصرية، القاهرة، ط٣، ١٣٢٨هـ.

٨) باشلار،(غاستون باشلار) ، جدلية الزمن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢.

٩) البديعي، (يوسف البديعي)، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زياده عبده، دار المعارف ، مصر ١٩٦٣ .

١٠) بدوي، (عبد الرحمن بدوي)، الموت والعبقرية، دار القلم، بيروت، د.ت.

١١) براونه، (فالتر براونة)، الوجودية في الجاهلية، مجلة المعرفة السورية، العدد٤، سنة ١٩٦٣.

١٢) بري، (رالف بارتون بري)، إنسانية الإنسان، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦١.

١٣) بك، (محمد خير بك)، أبو الطيب المتنبي، حياته وخلقه وشعره وأسلوبه، مكتبة سعد الدين، دمشق، ١٩٨٦.

١٤) بلاشير،(ريجيس بلاشير)، أبو الطيب المتنبي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥.

---

١٥) توفيق، (محمد توفيق)، شهرة المتنبي شهرة العظمة والفن، مجلة الهلال ، العدد الخاص بالشاعر، اغسطس، ١٩٣٥.

١٦) الثعالبي، (أبو عبد الله منصور الثعالبي)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

١٧) حسين، (طه حسين)، مع المتنبي، دار المعارف، مصر ، ١٩٧٣.

١٨) حنا،(جورج حنا)، الإنسان العربي قديمه وجديده، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤.

١٩) الحناشي،(يوسف الحناشي)، الرفض ومعانيه في شعر المتنبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٩١.

٢٠) ابن خلكان،(أبو العباس شمس الدين ابن خلكان)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، ١٩٦٨.

٢١) خليف،(يوسف خليف)، مجلة المجلة، عدد ٩٨، وعدد ١٠٠، والعدد ١٤، ١٩٦٥.

٢٢) خليل،(أحمد محمود خليل)، في النقد الجمالي، رؤية في الشعر الجاهلي، دار الفكر سورية- لبنان،١٩٩٦.

٢٣) الدينوري،(ابن قتيبة الدينوري)، الشعر والشعراء، بيروت، ١٩٦٤.

٢٤) زقزوق،(محمود حمدي زقزوق)، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، ١٩٨٠،

٢٥) الزير،(محمد حسن الزير)، الحياة والموت في الشعر الأموي، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٩.

٢٦) السمعاني، (أبو سعيد عبد الكريم السمعاني)، الأنساب، مطبعة حيدر أباد، ١٩٨١.

٢٧) شاكر، (محمود محمد شاكر)، المتنبي، مطبعة المدنين، جدة، ١٩٨٧.

٢٨) شحادة، (عبد العزيز شحادة)، الزمن في الشعر الجاهلي، مؤسسة حمادة، الأردن، ١٩٩٥.

٢٩) شعيب، (محمد عبد الرحمن شعيب)، المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ص: ٢٩٥- ٢٩٦ ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

٣٠) الصايغ، (عبد الإله الصايغ)، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٣.

٣١) الصديقي، (عبد اللطيف الصديقي)، الزمن أبعاده وبنيته، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥.

٣٢) عبد المطلب، (محمد عبد المطلب)، دراسات أسلوبية في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥.

---

٣٣) عطوان، (حسين عطوان)، مقدمه القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠.

٣٤) العقاد وآخرون، (عباس محمود العقاد)، أبو الطيب المتنبي، حياته وشعره، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

٣٥) العقاد،(عباس محمو العقاد)، الفصول، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٦٧.

٣٦) قرعاوي، (حسن القرعاوي)، الحكمة في شعر المتنبي، دار عمار، الأردن، ١٩٨٦.

٣٧) القيسي، (نوري حمودي القيسي)، الفروسية في الشعر الجاهلي، عالم الكتب بيروت، ١٩٨٤.

٣٨) مايرهوف، (هانز مايرهوف)، الزمن في الأدب، ترجمة أسعد رزوق، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٢.

٣٩) محمد،(علي عبد المعطي محمد)، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٣.

٤٠) المتنبي،(أبو الطيب المتنبي) ، ديوانه، شرح أبي البقاء العكبري، دار المعرفة، بيروت ، د.ت.

٤١) المرزوقي،(أبو علي أحمد المرزوقي)، شرح ديوان حماسة أبي تمام، نشر: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

٤٢) الملاح،(عبد الغني الملاح)، المتنبي يسترد أباه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

٤٣) ابن منظور،(أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم بن منظور)، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٠٠هـ .

٤٤) أبو ناجي،(محمد حسين أبو ناجي)، الحرب في شعر المتنبي، دار الشروق، جدة – السعودية، ١٩٨٠.

٤٥) ناصف،(مصطفى ناصف)، دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

٤٦) ناصف،(مصطفى ناصف)، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، بيروت،١٩٨١ .

٤٧) نصير،(أمل نصير)، المفارقة في كافوريات المتنبي، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، ١٩٩٧ .